جامعة الحسن الثاني - المحمدية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية
مركز الدراسات والبحوث التاريخية والأثرية

فضالة
أو عودة الذاكرة

حسن أميلي وأحمد سراج

صورة الغلاف مأخوذة من كتاب:

Juan BTA .VILAR

"Cartes, Plans et Fortifications Hispaniques du Maroc"
(XVI-XXs)"- Madrid - 1992

حسن أميلي و أحمد سراج

فضالة

أو عودة الذاكرة

إهداء

إلى أستاذنا
إبراهيم بوطالب
الذي علمنا كيف نمسك
بتلابيب الذاكرة ...

ح. أميلي و أ. سراج

شكر وتقدير

يتقدم مؤلفا هذا الكتاب بالشكر الجزيل إلى كل الذين ساهموا في إخراجه إلى الوجود ويخصان بالذكر:

- مركز الدراسات والأبحاث التاريخيـــة والأثريـــة الذي احتضن المشروع.
- مجموعة البحث في تاريخ المحمدية التي أشـــرفت على إنجازه.
- المجلس البلدي لمدينة المحمدية الذي تولى طبعه.
- الأستاذة القيدومة رحمة بورقية والأستاذ القيـدوم محمد الساوري على دعمهما المعنوي.
- الأستاذ عبد الجواد السقاط والأســـتاذ بوشـــتى السكيوي اللذان راجعا النص.
- السيد محمد الصباني كاتب عام كليـــة الآداب- المحمدية.

تقديم

يعتبر المؤلف مساهمة لرصد تاريخ المدينة التي أصبحت منذ الاستقلال تحمل اسم "المحمدية". إن تاريخ فضالة لم يحظ باهتمام كبير من طرف الباحثين المؤرخين نظرا لعدم وفرة المصادر التاريخية التي دونت أخبار المكان وتعاقب البشر على رقعته وما وقع فوقه من أحداث. لم تكن الوثائق والمصادر التي ذكرت فضالة عبر فتراتها التاريخية المتلاحقة بغزيرة. واعتمادا على المصادر التاريخية المتوافرة، سار المؤلفان وراء مغامرة التنقيب، ليستعرضا تاريخ ذاكرة فضالة.

يبين الجرد الذي يقدمه هذا الكتاب، أن فضالة كانت ذلك الموطن في الخريطة التاريخية للمغرب، الذي تارة يخفيه نسيان التاريخ وصمت مصادره، وتارة أخرى يطفو به ذلك التاريخ على سطح الأحداث لتذكره المصادر ويترك أثره في ذاكرتها. وكيفما كان الأمر، إن ما يمكن أن نستنتج من هذا لتنقيب التاريخي في بعض المصادر، وهي تحكي قصة تاريخ فضالة، هو الغمق التاريخي للمكان وغناه في الوجود والذي لم يمحه العنف الذي تعاقب عليه كمجال استراتيجي حام حوله التنافس عبر مراحل تاريخ المغرب.

تكمن الأهمية الأولى لهذا الكتاب في كون

المؤلفين سخرا البحث التاريخي لاستعراض المراحل التاريخية الكبرى لفضالة مع تقديم المعلومات الكافية حولها في قالب شيق للقراءة. أما الأهمية الثانية فتكمن في كونه يفتح الشهية العلمية لدى المؤرخين للتعمق في بعض جوانب تاريخ فضالة وضواحيها، ويحفزهم على المزيد من البحث في إطار المشروع الذي تدعو إليه فكرة الكتاب ألا وهو مشروع استعادة الذاكرة.

دة. رحمة بورقية
قيدومة كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المحمدية

توطئة

لم يحظ **تاريخ فضالة-المحمدية** باهتمام البحث التاريخي، تحت وطأة ندرة المصادر وصعوبة استنطاق القليل المتوافر منها، مما يستحيل معه - من خلال المعطيات التي يقدمها - رسم صورة واضحة لمعالم التطور التاريخي الذي شهدته المنطقة.

وقد زاد من حدة هذا الغموض غياب البنى المادية التي تكون في هذه الحالة شاهدا أساسيا، يعمد إليه المؤرخ لتغطية النقص الحاصل في التراث المكتوب؛ وحتى التراث الشفاهي - الذي أصبح اليوم من مصادر التأريخ للمناطق التي " **لا تاريخ لها**"- لم يتم إلى حد الآن جمعه وتحليله. في فضالة وضاحيتها بشكل منهجي.

إن مجال فضالة قد يكون من أكثر المجالات التي تعرضت للتحول والتغيير، إلى درجة يمكن القول معها إنها **فقدت ذاكرتها** في خضم ذلك. ورغم أن هذا المجال يتسم بخصائص تسمح له بتكوين شخصية تاريخية متراكمة ومتواترة، فإنه في واقع الأمر، وبفعل هذه الخصائص ذاتها، أضحى يعاني اليوم من تلاشي هويته؛ ولهذه الظاهرة ما يفسرها تاريخيا.

إن تأثر المنطقة بالتقلبات الإثنية وظاهرة الصراع التي طبعتها عبر مختلف العصور، بالإضافة إلى التطور الصناعي الهائل الذي شهدته منذ عهد الحماية، والذي حولها إلى قطب جذاب للهجرة، كلها عوامل لم

تساعد على صيانة ذاكرة فضالة.

ولذلك، ومن باب تعاملنا الإيجابي مع هذا الاستفزاز الذي ولدته الأسئلة التاريخية من حولنا ونحن نقتحم يوميا حارات القصبة، ونتصفح قسمات أبنائها، وتملأ خياشيمنا نسمات تربتها وبحرها، كان لزاما علينا أن نحاول رص الحلقات المجهرية للأحداث التي احتضنتها فضاءات فضالة، سواء منها المتناثرة في متون الكتب، أو في خفايا الأرض، مستمسكين بمشكاة الصبر وطول النفس؛ علنا نسهم بتواضع في تطريز مجمل تاريخي لهذه المدينة/الذاكرة، ونقدم الدليل الموضوعي على أن الروية والتأني بمقدورهما إعادة الاعتبار للتاريخ وللوعي التاريخي، غايتنا في ذلك أن يكون هذا المجهود **ذاكرة لعودة التاريخ**، أو... **عودة لذاكرة مدينة**...

المؤلفان

حسن أميلي وأحمد سراج

المحمدية في 11 نونبر 1999

الفصل الأول:

المميزات الطبيعية والخصوصيات المحلية

1- الموقع الجغرافي والمميزات الطبيعية:

تحتل **فضـــالة** وضواحيها موقعا متميزا على ساحل المحيط الأطلسي. فهي تنتمي للمنضدة الساحلية في مجال يغلب عليه الطابع الهضبي، وينتمي جيولوجيا إلى الزمن الأول وبداية الثاني في الداخل، وإلى الزمن الرابـــع في المجال الســـاحلي[1]. ويحد فضالة المحيط الأطلسي شمالا، وهضبة **ابن سليمـــان** غربـــا، ووادي "**النفيفيـــخ**" شرقا ، ومنطقـــة "**الفضالات**" وسهل **الشاوية** جنوبا؛ وتتخللها جملة من الأودية، أهمها على الإطـــلاق وادي المالح والنفيفيخ، اللذان يعتبران بمثابة الشريان الرئيســـي للمنطقة.

أما مناخ المنطقة فهو متوسطي يجمع بين الرطوبـــة والجفاف، مع وجود تأثير بحري يســـاهم في تلطيـــف المدي السنوي الذي لا يتعدى 16°؛ ويصـــل معـــدل التساقطات بالمنطقة إلى 450 ملم، مقسما على ما ينـلهز 65 يوما في السنة، جلها في فصلي الخريف والشتاء.

ويتميز موقع المدينة على الساحل بوجوده علـــى شاكلة خليج طبيعي محمي من الرياح الشمالية الغربية[2]،

---

[1] أنظر: G.Beaudet: *Le plateau central marocain et ses bordures : Etude géomorphologique*, Rabat, 1969, p.478; وأيضا: رشيـــدة نافع: " الخصائص الطبيعية لمنطقة المحمدية "، ضمن: مدينة المحمدية ومحيطـــها البيئي – تنسيق المختار الأكحل ومحمد أزهار – منشـــورات كليـــة الآداب والعلوم الإنسانية– المحمدية 1997 – ص 11 وما يليها.

[2] *Le Maroc maritime Guide pratique du secteur maritime*, Ministère des pêches maritimes et de la marine marchande, Mohammedia, 1999, p 642.

ومن ارتطام الموج بفضل شريط صخـــري ذو اتجـاه جنوبي غربي/ شمالي شرقي؛ حيث جعله هذا الشـــريط **شبه جزيرة** يكاد لا يرى من جهـــة البحر[3]، شـكل حاجزا وقائيا لحوض الرسو مـــن تراكـــم الترســبات الرملية، وكذا من التعرض لأية حركة معادية، حتى بـدا بذلك ملجأ جيدا للمـــراكب التي لا تتعدى حمولتـــها 150 طنا، وجذب إليه أنظار الملاحين والصيادين منـــذ أمد بعيد.

ورغم تعرض هذا المرسى الطبيعي لمعوقات تؤثـــر سلبا على إمكانياتها الملاحية بفعل الأقاصير الحائلة بينـها وبين العـــرض[4]، فإنها مع ذلك لم تكن بنفس خطورتها في المراسي المغربية الأخرى. ولتجاوز ذلـــك، خضـــع مرسى فضالة في سنة 1914م للتطعيم بحواجـــز حمتـــها

[3] يذكر الملاح البرتغالي دوارتي باكيكو بيريرا (D. P. Pereira) في كتابـــه *L'Esmeraldo de situ orbis* في مطلع القـــرن 10هـــ/16م، أنها كـــانت عبارة عن جـــزيرتين صغيرتين، وهو ما أشارت إليه أيضا دراسة فرنسية سنة 1951م؛ فيما تذكر التقارير الأوربية للقرن 11هـــــ/17م، أنهـــا كـــانت جـــزيرة صغيرة واحدة على مقربة من اليابسة، شديدة الانخفاض، التصقـــت بعد ذلك بالبـــر، وأصبحت تشكل امتـــدادا له، أو لسانا متقدما في البحـــر. انظر:

Ricard Robert, «La côte Atlantique du Maroc au début du 16e siècle d'après des instructions nautiques portugaises», in *Hesperis*, Vol 7, 1927, p 240; H. De Castries et Co, *Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc* , 1e série, Pays-Bas, T II, p 288 et 2e série, France, T V, p 532 et P. Bellon, *Le Port de Fédala, ses possibilités dans le cadre de l'économie portuaire de la région casablancaise* , Mémoire de stage, Ecole nationale d'administration , 1951, p 4.

[4] Bellon , *Op. cit*, p 4.

بصورة أمثل من الرياح، إلا عند هبوبها من الشمال/الغربي[5]. ولهذه الأسباب اعتبرت – إلى جانب مازكان وموكادور – من أفضل المراسي الطبيعية الأطلسية على الإطلاق[6].

2– خصوصيات المنطقة:

تنتمي فضالة قاريا إلى منطقة " **زناتة** "، نسبة إلى القبيلة التي استوطنتها تاريخيا؛ وهذه المنطقة عبارة عن سهل فسيح وخصيب، ذي تربة جيدة وغنية؛ ويتسم بتساقطات منتظمة، وباختراقه بشبكة مائية مهمة من أودية دائمة الصبيب[7]، على رأسها **وادي المالح** الذي يعتبر أهم مجرى مائي في الشاوية، بحوض سكب مساحته 2800 كلم2[8]، و**وادي النفيفيخ** بحوض

---

[5] انظر مذكرات الإنجليزي الشهير هنري منواريس (H. Mainwaring) بخصوص المراسي المغربية، وفضالة خاصة، سنة 1618؛ وكذا رسالة كارتريه (G. Carteret) سنة 1637، في:

S.I.H.M., Angleterre, T II, p 507-508 et T III, p 314-18.

[6] Robert Montagne, « Les marins indigènes de la zone française du Maroc », in *Hesperis*, T 3, 2e trim, 1923, p 180-81.

[7] أبو عبيد الله البكري:" المغرب في ذكر إفريقية والمغرب " – طبعة دوسلان – باريس 1965 – ص 141.

[8] رابحة صالح وعلي وزا:" بعض المعطيات الطبيعية لمنطقة الشاوية " – في: الشاوية: التاريخ والمجال – منشورات لجنة الشاوية – البيضاء– 1997– ص 187.

سكب تبلغ مساحته 830 كلم^2 [9]، **ووادي القنطـــرة** . وتعززها فرشاة مائية باطنية توفر عيونا تغطي جل أنحـاء المنطقة ، مثل "**عين تكي**"، و"**عين حـــــرودة**"، و"**عين ميزاب**"، و"**عين محيد جيبة**"، و"**عـــين بوعشـــاب**"، و"**عين بئر رحـــال**"، و"**عـــين كَطيطـــة**"، و"**عـــين زرقـــة**"[10] . ولا شك أن غنى المنطقة بالميـــاه الباطنيـــة يعود إلى تكويناتها الشستية التي تعتبر خزانـــا أساســـيا للمياه.

وإلى جانب ذلك، تنتشر آبار في ربـــوع منطقـــة زناتة، مثل بئر "**سيدي أحمد بن هاشم**"، وبئر "**الحيمر**" قرب دوار حرودة، وبئر "**زويلة**" قرب وادي المـــالح، علـــى مشـــارف الطريـــق الرابطـــة بـــين فضالـــة والدارالبيضاء[11] . وقد ساهمت هذه العيون والآبـــار في مد المنطقة بمدخرات مائية هامة على طـــول الســـنة ، وجعلت أوديتها منتظمة الجـــريان، بشكل شـــجعها على احتضان أنشطة فلاحية جيدة على امتداد التاريخ.

وبموقعها إلى الشمال الشرقي من مدينـــة الـــدار البيضاء التي تبعد عنها بـــ25 كلم، وجنوب العاصمـــة الرباط (حوالي 65 كلم)، أضحت فضالة- المحمديـــة القلب النابض لأهم محور اقتصادي للمغـــرب (محـــور القنيطرة – آسفي).

وتتميز المدينة على العموم بكونها مركز **اســـتجمام**

---

[9] نفسه – ص 188.

[10] Michaux-Bellaire, *Casa et les Chaouia, Villes et tribus du Maroc*, T II, éd. E. Leroux, Paris, 1915, p 31.

[11] *Ibid.*

شاطئـــي، ومنطقة تشتية مناسبة، بحكم قربها من مدينة الدار البيضاء ، حيث ساهم مناخها المعتدل والمنتظـم في تمكينها من لعب دور متميز كمركز سياحي [12].

3- أهميتها الإنتاجية:

إن وقوع منطقة فضالة بالإقليم المدعو "**الســـاحل**" قد ساعدها على البروز كناحية غنية بإنتاجها الفلاحي، الذي تدخل تربته المكونة من نوع "**الحمري**" بدرجـــة أساسية ضمن فئة الأراضي الرملية الخفيفـــة والمناســـبة لمختلف المـــزروعات، مثل: الشعير، والذرة، والقمـــح، والكتان، على امتداد مساحة تتعدى 350 كلم2 [13].

وقد جعلت منها هذه المواصفات الملائمـــة مجـــالا مزدهرا منذ القدم بإنتاجـــه الزراعـــي والحيـــواني [14]، بالإضافة إلى أهلية المنطقة لقيام بعـــض الصنـــاعات المرتبطة باستغلال التـــربة أيضا، بسبب وجود أمـــاكن لاستخراج مادة الصلصـــال، المســـتعملة في صناعـــة الخزف؛ إلى جانب الاستغلال الكثيف لحجر الكلـــس في موقع "**مرس بيكَاد**" بالأساس، وحجـــر الجبـــص بنواحي " **سوق الأحد**"، وأحجار البناء المنتشـــرة في المنطقـــة [15].

---

[12] Pellon et Bory, *Fédala, Un jardin sur la mer*, éd. Inter press, Casablanca, 1933, p 8.

[13] Michaux-Bellaire, *Op. cit*, p. 30 et 36.

[14] رجب عبد الحليم : " دولة بني صالح في تامسنا " - ص 120.

[15] Michaux-Bellaire, *Op. cit*, p 37.

4. الأهمية التاريخية

لن نشاطر رأي من ينفي عراقة فضالة، وينعتها بالبؤس التاريخي[16]؛ فإذا كانت المعلومات التاريخية تنعدم حول أهمية الموقع الاستراتيجي لفضالة خلال الفترة القديمة ، فإن وجودها كجزيرة على الطريق الملاحية القديمة، التي اجتازتها **الرحلات الفينيقية، والقرطاجية، والرومانية**، منذ القرن السابع قبل الميلاد، يرجح قيامها بدور معين في الربط الملاحي بين محطات الاستراحة الأطلسية.

وهذا لن يعدو مجانبا للتاريخ، إذا ما اعتبرنا قدم الحضور البشري في المنطقة، والذي سوف يتسم فيما بعد بالكثافة الفاعلة، التي تجسدت خلال العهد البرغواطي، واحتضانها المستمر - رغم الأحداث التاريخية الدامية التي عرفتها - لمراكز سكانية قاومت الفراغ بدون انقطاع.

ولذلك يسود الاعتقاد بأن منطقة فضالة قد عرفت بسبب ظروفها الإنتاجية المواتية تاريخا عمرانيا خصبا، قبل أن يتعرض للاندثار بسبب الصراعات السياسية العنيفة بين قبائل برغواطة وجيوش زناتة والمرابطين والموحدين على امتداد أزيد من قرنين. وعلى الرغم من ذلك، احتضنت المنطقة خلال العصور الحديثة عدة مراكز، مثل: "**النخيلة** "، و"**المنصورية**"، و"**عين**

[16] انظر أحمد آيت موسى:" نشأة المحمدية ومراحل توسعها " - في: مدينة المحمدية ومحيطها البيئي- ص46.

حلوف"، و" **أدنـــدون**"، و"**تكَيـــت**"، و"**زرقـــــة**"، و"**تاغيـــة**"[17].

5- مشكل التسمية:

إن اتفاق المؤرخين القدماء على إدمـــاج منطقـــة فضالة في عداد **إقليم تامسنـــا** الفسيـــح[18]، قد لازمـــه اختلافهم — مؤرخين وباحثين معاصرين- بشأن الأصل الإيتمولوجي لهذا الاسم الذي اقترن بالمدينة وبناحيتها ، إلى أن تم استبداله باسم " **المحمديـــة** " خـــلال عـــهد الاستقلال.

فقد أرجع البعض تفسير التسمية إلى إدغـــام، أو مزج بين كلمتي " **فيـــض الله**"، نتج عنه في الأخـــير لقب "**فضالة**"[19]؛ وذهب آخرون ممن تعصبوا لهـــا إلى اعتبار اسمها لقبا تيمنيا "**فضل من الله**"، تفضيلا لها على غيرها من المـــدن. وهناك من تبنى اشتقـــاقه لغويا مـــن كلمة "**المفضّل**"، أي المختار أو المأثور[20].

---

[17] أنظر: الحسن الوزان: "وصف إفريقيا " – ج 1 – ترجمة م. حجـــي وم. الأخضر – الرباط – 1980 – ص 157-59؛ ومارمول كاربخال: "إفريقيـــا" – ج 1 – ترجمة حجي وآخرون – مكتبة المعارف – الربـــاط – 1984 – ص 182.

[18] انظر: ابن خلـــدون:" كتاب العبر وديوان المبتدا والخـــبر " – ج 6 – دار الكتب العلمية – بيروت – ط 1992 – ص 37؛ والوزان – نفســـه – ص 153-154؛ ومارمول – نفسه – ص 26؛ وابن زيدان:" العز والصولـــة " – ج 1 – المطبعة الملكية- الرباط 1981 – ص 47.

[19] Michaux-Bellaire, *Op. cit*, p 34.

[20] Jean De Menton, *Fédala: Banlieue industrielle ou banlieue balnéaire à la mode? Situation économique et financière*, Mémoire de stage, Ecole nationale d'administration, janvier,

في حين رد بعض المؤرخين اسم فضالة إلى اقتباس من اسم قبيلة بربرية، دون تكليف أنفسهم مشقة ذكرها أو تحديدها. وناقضهم آخرون في ذلك، محيلين الاسم على فخدة "**الفضالات**" العربية المنتسبة إلى قبيلة الزيايدة [21]، التي استقرت بجنوب المنطقة بعد منتصف القرن 6هـ/ 12م؛ بيد أن أسبقية ذكر التسمية في المؤلفات السابقة على استقرار هذه الفخدة، وخصوصا لدى المؤرخ الاندلسي، **أبي عبيد الله البكري**، خلال القرن الحادي عشر الميلادي من جهة، وسيادة عناصر بربرية خالصة على عموم المنطقة آنذاك، يجعل اعتماد التفسير المذكور لا مبرر له؛ ومن ثم يعتقد أن اسم فضالة لا يعدو أن يكون ذا دلالة لغوية بربرية[22].

وقد طغت إشكالية التسمية على ذهنية سكان فضالة، وحاولوا من جهتهم تلمس إجابات لتفسير ذلك ، خصوصا خلال فترة الحماية وما بعدها ، حيث اتفق أغلبهم على اقتباس اسمها من اسم علم مؤنث "**فضيلة**"، نسبة إلى امرأة كانت تقطن بالمنطقة؛ وذهب البعض إلى ربط الاسم بابنة أحد المعمرين

1949, p 44.

[21] André Adam:" Fédala ", dans *Encyclopédie de l'Islam*, T II, Nouvelle édition, Paris, 1977, p 756.

[22] انظر: محمد الضعيف الرباطي:" تاريخ الدولة السعد[illegible] " – تحقيق أحمد العماري – دار المأثورات – الرباط 1986 – ص 06 .[illegible]د اللطيف الشاذلي:" مساهمة في التعريف بتاريخ فضالة " – بحوث – عدد 2-3 – كلية الآداب – المحمدية 1990 – ص 20؛ وأيضا: Michaux-Bellaire, *Op. cit* , T II, p 34.

الفرنسيين (*La Fille de Dala*)، فحـــرف إلى لقـــب فضالة. وهي كلها طروحـــات لا أســـاس لهـــا مـــن الصحـــــة.

ولذا، نعتقد أن اسم قبيلة " **فدالة** " الوارد لـــدى ابن حوقل [23] في القرن 4هـــ/10م ضمن أسماء القبـــائل، هو الأقرب إلى اسم فضالة، بحكـــم بربريـــة الاســـم، ولتقارب منطوق اللفظين، رغم أن الاســـم المذكـــور أعلاه يعني قبيلا صنهاجيا، لم يكلف ابن حوقل نفســـه عناء تحديد مواطنه.

6- أهالي فضالة:

إن المتغيرات الإثنوغرافية التي عرفتها منطقـــة فضالة على امتـــداد تاريخها، قـــد جعلتـــها عرضـــة **لاستيطان مجموعات بشرية متنوعة** حسب الحقـــب، ومتأثرة إلى حد ما بالتحولات السياسية الـــتي عرفـــها المغرب؛ خصوصا وأن المنطقة قد اكتست أهمية بـــارزة لدى مختلف الدول المتعاقبة على الحكم، نتيجة وجودها عند حدود التماس بين المدى الإشـــعاعي للعـــاصمتين التقليديتين مراكش وفاس من جهة، ولعلـــو إنتاجـــها الاقتصـــادي، ولوجودها في موقـــع متمـــيز وســـط الساحل الأطلسي من جهة ثانية.

كل هذه المميزات دفعتها للحظـــوة في السياســـة المغربية، برغبة من مختلف الأسر الحاكمة في الاســـتئثار

---

[23] ابن حوقل:" صورة الأرض " - دار الكتاب الإســـلامي - القـــاهرة - د.ت. - ص 101.

بمجالها، ومن ثم إقرارها لعناصر موالية لها بالمنطقة ، بدلا عن ساكنتها السابقة. ولذلك عرفت فضالة توالي القبائل والأجناس، بدءا بالقبائل **البرغواطية** حتى حدود القرن 5هـ/11م، التي تم اقتلاع وجودها فيها وإقرار قبائل الأعراب من "**جشم**" على يد الموحدين.

وبعد هذا الاستيطان الجديد أصبحت المنطقة إقطاعا للعناصر الموالية للدولة المرينية من قبائل "**هوارة**" و"**زناتة**"؛ ومن ثم ارتبطت هذه الأخيرة بالمنطقة تاريخيا حتى الآن، رغم إقدام السلطان العلوي سيدي **محمد بن عبد الله** في الربع الأخير من القرن 12هـ/18م على نقل بعض من بطونها، واستبداله ببطون من قبائل " **الشياظمة**" و"**اشتوكة**"؛ كما عرفت المنطقة خلال القرن 13هـ/19م في عهد مولاي سليمان دخول عناصر من عرب الدولة، وخصوصا قبيلة "**بني حسن**"، التي حلت بها تحت إشراف القائد **سليمان القريشي** سنة 1226هـ/1810م.

وقد استقرت **قبيلة زناتة** بمحاذاة الشريط الساحلي لمنطقة فضالة على طول 30 كلم، إلى حدود 8 كلم شرق الدار البيضاء، تحدها من الشرق أراضي "**الزيايدة**"، ومن الجنوب أراضي "**أولاد زيان**" و"**أولاد علي**"، ومن الغرب أراضي قبائل "**مديونة**". وقد اندرجت هذه القبيلة مع القبائل المذكورة، وقبائل "**أولاد حريز**"، و"**المذاكرة**"، و"**مزاب**"، و"**العشلش**"، و"**المزامزة**"، و"**أولاد سيدي بن داود**"، و"**أولاد بوزيري**" ، و"**أولاد سعيد**" في إطار مجموعة "**قبائل**

الشـــاوية"[24].

وتنقسم قبيلة زناتة هذه – التي استعرب الجزء الأكبر منها – إلى ثمان فخدات، هي:"**أولاد ســـيدي علي**"، و"**الخلطة**"، و"**أولاد حجالة**"، و"**أولاد معـزة**"، و"**برادة**"، و"**بني مغيث**"، و"**غزوان**"، وفخدة أخـــرى باسم "**أولاد علي**" [25]؛ وكانت كل فخدة مستقلة عن غيرها، وتخضع في تسييرها لقيـــادة شيخ من شـــيوخها يشرف على تسيير حياتها العامـــة.

[24] Michaux-Bellaire, *Op. cit*, p 31.
[25] *Ibid*, p 32.

الفصل الثاني:

فضالة : الأصول وبداية التاريخ

1- أصول تعود لما قبل التاريخ:

رغم أنه لا شيء يوحي لعابر فضالة/المحمدية اليوم بعراقتها وقدمها، ورغم أن الانفجار الصناعي الذي شهدته المدينة في العقود الأخيرة قد وصمها بطابع المعاصرة، حظي محيط المدينة بمكانة خاصة ضمن خريطة مواقع فترة ما قبل التاريخ بالمغرب؛ ولا غرابة في ذلك، والمنطقة قد كانت تتوسط أحد أهم محاور **حضارات ما قبل التاريخ**، المجسد في خط البيضاء - بنسليمان - تمارة.

ومن دون شك أن تميز موقع فضالة هذا لم يجذب ما يكفي من الاهتمام على مستوى تعميق البحث الأثري، بفعل انكباب الجهود بالأساس على دراسة مواقع البيضاء وتمارة، على حساب المجال الفاصل بينهما، والذي ترك للصدفة؛ ولذلك لم تضع التنقيبات المنجزة خلال النصف الأول من القرن الحالي بخصوص عصر ما قبل التاريخ، أي برنامج منهجي للبحث في محيط فضالة.

ولعل أهم مواقع ما قبل التاريخ في المنطقة تلك التي عثر عليها في نهاية العشرينات من هذا القرن على الضفة اليسرى لوادي المالح[26] قبالة مقبرة **سيدي بوعمرو**، بالقرب من الطريق الرئيسية رقم 1 الرابطة

[26] M. Antoin, «Répertoire préhistorique Chaouïa: Région littorale orientale », n° 114-124, *Bull. Soc. Préhist. du Maroc* , 14, 1930, p 11-15.

بين البيضاء والرباط، حيث اكتشفت مخلفات صناعات تعود لهذه الفترة (انظر الشكل رقم 1).

ويمكن أن نلخص هذه المخلفات في قطع متنوعة الأشكال من حجر الصوان المنحوت الذي يعود لفترات مختلفة ضمن التقسيمات التي يتبناها علماء ما قبل التاريخ، بالإضافة إلى بعض المواقع التي يعتقد في كونها تطابق مواقد تعود لنفس الفترة، وبعض الصناعات الخزفية التي أثارت جدلا في أوساط المختصين[27] (انظر الشكل رقم 2). ويوجد قسم من هذه اللقى بالمتحف الأثري بالرباط.

إن تركز هذه المخلفات في المحيط المباشر لفضالة ليؤكد **أقدمية الاستيطان** بهذه المنطقة، ولا شك أن المواصفات المناخية لناحية وادي المالح المتسمة بالرطوبة قد ساهمت في تفعيل غطاء نباتي متنوع، تشهد عليه بقايا نباتية مازالت موجودة إلى اليوم بموقع الشلالات، وسمحت لإنسان هذه الفترة بالعثور على بيئة مناسبة لنشاطاته.

2- الحضور القرطاجي بالمنطقة:

من الصعب تخيل المجال الساحلي لفضالة بمنأى عن وطأة أقدام البحارة الفينيقيين والقرطاجيين والرومان،

---

[27] للاطلاع على الإحالات البيبليوغرافية المرتبطة بهذه اللقى، ينظر:

G. Souville, *Atlas préhistorique du Maroc: Le Maroc Atlantique*, Paris, 1973, p. 297-302.

ومع ذلك لم يبرز لحد الآن أي معطى يسمح بـــترتيب هذه المنطقة ضمن مواطن الحضارات القديمة التي عرفـها المغرب في أجزاء مختلفة من تـــــرابه؛ إذ لا شـــيء في الكتابات التي خلفها الإغريق واللاتينيون يحيل بشـــكل واضح على جزيرة فضالة أو على ساحلها.

يؤرخ أول نص وصَف المغرب الساحلي بـــالقرن الخـــامس قبل الميلاد، وهو الذي تعود المؤرخون علـــى تسميته **برحلة حانون**[28]، ويتعلق الأمر برحلة الأمـــيرال القرطاجي حانون (Hannon)، الذي عينه مجلس شـــيوخ قرطاج على رأس حملة هدفها اكتشاف سواحل إفريقيا الغربية لأغراض تجارية ولإنشاء مستوطنات.

وقد خلف حانون وصفا لرحلته هذه، ذكر خلالـه إقدامه على إنشاء ست مستوطنات في المجال الفـــاصل بين أعمدة هرقل وبين مصب نهر اللكوس، وهي علـــى التوالي: طيمياتوريون، وكاريكون تيخوس، وكـــوتي، وأكرا، وميليتا أو ميليسا، وأرامبوس[29].

ويذكر حانون أنه هو ورفاقه قد واصلوا الرحلـــة جنوبا إلى حين بلوغهم جزيرة كيرني التي يتفق أغلـــب الدارسين على مطابقتها لجزيرة موكـــادور (الصويـــرة

[28] J. Desanges, « Périple d'Hannon », dans *Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique (VIe siècle av. J.-C. - IV siècle ap. J.-C.)*, Rome, 1978, p. 392-97.

[29] *Ibid* - p 392.

الحالية)[30]؛ وهو ما يجعل **إبحاره بمحاذاة ساحل تامسنا** أمرا ضروريا، لأن تقنيات الملاحة في تلك الفترة لم تكن تسمح لرواد البحر آنذاك بالمغامرة في أعالي البحار، وكانوا مجبرين على الملاحة الساحلية تلافيا لعواصف المحيط، وأيضا للبقاء على مقربة من الساحل للتزود بالغذاء والماء.

ومن ثم، فإن اطلاع حانون على جزيرة فضالة أمر شديد الاحتمال[31]، خصوصا وأن ندرة المراسي الطبيعية الملائمة جنوب سبو تمنح مرسى فضالة ظروفا مواتية لاستقبال السفن؛ ولذلك يفترض استغلالها من طرف حانون، مثلما هو الشأن من طرف ملاحي الرحلات الأطلسية لاحقا، لا سيما وأن معطياته الطبيعية تنسجم تماما مع المعايير التي اعتمدها الفينيقيون والقرطاجيون في اختيار المراسي. وما يدفع إلى التشبث أكثر بهذه الأطروحة إشارة عامة عند سترابون تخبر أن للفينيقيين مراكز عديدة في خلجان جنوب

---

[30] A. Jodin, *Mogador, Comptoir phénicien du Maroc atlantique*, ETAM , 2, 1966.

[31] نعلم أن ساحل المحمدية كان يحتضن جزيرة فضالة المذكورة في الفترة الإسلامية، وقد ذهب أحد الباحثين المحدثين إلى مطابقتها مع جزيرة باينا (*Paina*) التي ذكرها بطليموس كإحدى الجزر الواقعة على المحيط الأطلسي. انظر:

Ptolémée, IV, 1, 8 et P. Sehmitt, *Le Maroc d'après la Géographie de Cl. Ptolémée* , Thèse de 3ème cycle, Tours , Centre Piganiol, 1973 (Roneot), p 174.

ناحية ليكسوس، قدر عددها بثلاثمائة مدينة[32].

إن عدم العثور على أي دليل مادي يثبت هذا الحضور الفينيقي أو القرطاجي المفترض بالمنطقة لحد الآن لا يؤدي بالضرورة إلى استبعاد كونها تشكل إحدى نوافذ الحضارة الشرقية التي تفاعلت مع المغرب، ويقتضي العثور على هذا النوع من الآثار تكريس جهود هامة ، ونحن ندرك صعوبة تحقيق ذلك مع المتغيرات الجوهرية التي عرفتها جزيرة فضالة من جراء بناء الميناء خلال فترة الحماية ، الشيء الذي جعلها – حتى في فترة الستينات التي بلغ فيها البحث عن المواقع الفينيقية بالمغرب أوجه – بعيدة عن إجراء أية استبارات عميقة على غرار ما حظيت به مواقع أخرى[33].

3– فضالة خلال العهد الروماني:

خلال فترة الاحتلال الروماني بدأت تتضح معالم الإقليم الذي سيسمى " **تامسنا** " لاحقا، وضمنه محيط فضالة. وعلى الرغم من أن المؤرخ الشهير **بلينيوس الشيخ** – الذي أخبر عن وضع المناطق الواقعة جنوب نهر أبي رقراق – لم يورد أية إشارة مباشرة عن فضالة في كتابه "**التاريخ الطبيعي**"، فإنه قدم مع ذلك بعض

[32] Strabon, XVII, 3

[33] P. Cintas, *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954, et A. Luquet, « Prospection punique de la côte atlantique du Maroc », *Hespéris*, T 43, 1956, p 117-32.

التلميحات المرتبطة بالمجال الواقع جنوب نهر سلا الذي تدخل في نطاقه، حيث يقول :"... **مدينة سلا الواقعة على النهر الذي يحمل نفس الإسم، والمتاخمة لمجالات مهجورة تغزوها قطعان الفيلة، وأكثر منها قبيلة الأوطولول الواقعة على الطريق المؤدية إلى أشهر جبال إفريقيا: الأطلس**"[34].

ونستنتج من نص بلينيوس الشيخ:

1. أن المجال الواقع جنوب سلا كان مجهولا لدى المؤرخين اللاتينيين، حيث إن المعلومات التي قدمها قليلة بالنظر إلى وجود المنطقة على مقربة من مجال الحكم الروماني، الذي تشكل سلاكلونيا وأد موركوريوس أقصى نقطه الجنوبية،و لم تكن المسافة القصيرة الفاصلة بين فضالة وسلا كلونيا تشكل عائقا استراتيجيا من شأنه الوقوف أمام تواصل تعارضي أو تكاملي بين **قبائل تامسنا** ، وقبائل المنطقة الخاضعة " للرومنة " على ضفتي أبي رقراق.

2. يدل النص على أن المناطق الواقعة جنوب سلاكانت مرتعا لحيوانات انقرضت لاحقا؛ وقد تأكد حضور **الفيلة** بها – المذكورة لدى بلينيوس – في شواهد مادية[35]، مع العلم بأن مصادر متأخرة أثبتت

[34] Pline l'Ancien, V, 5.

[35] أدت حفريات سلا إلى اكتشاف تمثال مجسم من الشست يرمز إلى رأس فيل بأنياب من الرخام الأبيض وهذا التمثال الذي عايناه حديثا ما زال موجودا بمخازن شالة الأثرية. عن الفيلة بالمغرب القديم عامة يمكن مراجعة:

تعايش السباع إلى جانب الإنسان بمنطقة تامسنا.

3. إن قبيلة **الأوطولول** – التي فسر البعض اسمها بـ"**الأحرار**"[36] – كانت مستقرة جنوب نهر أبي رقراق على الطريق المؤدية إلى جبال الأطلس؛ ولا نتوفر مع ذلك على أي إثبات من شأنه أن يؤكد ارتيادها لمحيط فضالة، بيد أننا نعتقد أن غنى المنطقة المشهود به جغرافيا وتاريخيا، بالإضافة إلى وجود دلائل على أقدمية الاستيطان والتعمير بها – تشهد عليها نتائج بحوث فترات ما قبل التاريخ – تجعلنا نرجح أن القبائل التي أشار إليها بلينيوس الشيخ كانت تراقب جزءا من المحيط الحالي لفضالة.

وقد ذهب أحد الباحثين المتخصصين في تحليله للحضور البشري بالمنطقة – مستندا إلى شهادة بلينيوس الشيخ التي مفادها أن قبائل الأوطولول **والبنيوراي** تنتمي لشعوب الجيتوليين وأنها من القبائل التي أصبحت تراقب بلاد موريطانية الطنجية – إلى طرح التساؤل حول العلاقة التي تجمع بين اسم القبيلة الأخيرة واسم **بني وراين** بنواحي تازة، **وبني ورا** ببنسليمان[37]. ورغم أن التحليل الإيتيمولوجي لأسماء القبائل القديمة الهادف

J. Boube, *BAM*, V, 1964, p. 365 et A. Jodin, « L'élephant dans le Maroc antique », in 92 *Congrès national des Sociétés savantes*, Strasbourg et Colmar, 1967, Paris, 1970, p 51-64.

[36] Desanges, Pline l'Ancien, V, commentaire § 5-7, p. 97.

[37] محمد مجدوب:" مجال الشاوية في التاريخ القديم " – في: الشاوية: التاريخ والمجال – ص 19.

إلى اكتشاف استمرارية ضمنية لقبائل قديمة في الفترة الحالية يحمل مخاطر عدة، فإننا لا نشك في وجاهة هذه الفرضية.

وأولى المعلومات التاريخية التي تتعلق بالمنطقة الساحلية جنوب نهر أبي رقراق نجدها لدى الرحالة والمؤرخ **الإغريقي بوليبيوس** (146 ق.م.)، الذي يذكر ميناءين جنوب سلا هما **روتوبيس وروسادير**[38]. وقد قدم **بطليموس** في جغرافيته ذكر الميناء الأول باسم **روسيبيس**، وأضاف – فضلا عن أسماء لمواقع أخرى على طول ساحل المحيط الأطلسي – ميناء آخر هو **موسوكاراس**[39]. وعلى الرغم من تعدد وجهات النظر حول توطين هذه المدن، فمن المؤكد أنها تواجدت في النطاق الساحلي الممتد جنوب سلا.

ونجد ضمن العرض الذي قدمه بطليموس لجغرافية المغرب الأطلسي ذكرا لنهرين بين وادي سلا (أبي رقراق) وأناتيس الذي يكاد يجمع الباحثون على أنه يطابق نهر أم الربيع وهما: **مصب ديوس** (*Dios*) و**مصب كوزا**(*Cusa*)[40]. وبنظرة إلى خريطة المغرب النهرية يتضح أن المجال الفاصل بين نهري أبي رقراق وأم الربيع يتميز فيه **وادي النفيفيخ والمالح**؛ ومن دون شك أن الوادي الأخير – وقد كان صبيبه أكثر أهمية في

[38] Pline l'Ancien, T V, p 9.

[39] Ptolémée, IV, 1, 2, p. 577

[40] *Loc. cit.*

الماضي – قد أثار اهتمام البحارة القدماء.

ومن جانب آخر، كان العثور على قطع نقدية قديمة في المجال الساحلي الواقع جنوب سلا ذا علاقة بمحيط فضالة. فقد عثر ببنسليمان على " **كنز** " صغير يحوي **نقودا بيزنطية**[41]، كما عثر على قطعتين نقديتين قديمتين ببوزنيقة وعلى **مقربة من فضالة**[42].

ولأن العثور عليها كان على السطح، فإن اكتشاف هذه القطع لا يمكن اعتماده دليلا على الوجود الحضاري البيزنطي بالمنطقة، ولكنه قد يكون شاهدا على علاقات تجارية معينة. وفي موقع كموقع فضالة يكتسي هذا النوع من اللقى طابعا خاصا، نظرا لانفتاحه على قناتين لا شك أنهما سهلتا تغلغل تأثيرات خارجية في المنطقة:

---

[41] يتعلق الأمر باثنتي عشرة قطعة نقدية ذهبية ترجع إلى العهد البيزنطي = = أنظر تفاصيل ذلك في:

J. D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939, p. 20, n° 222-233 et pl. V; R. Rebuffat, « Vestiges antiques sur la côte occidentale de l'Afrique au sud de Rabat », *Antiquités Africaines*, 8, 1974, p. 31 et M. Euzennat, *Le limes de Tingitane. La frontière méridionale*, Paris, 1989, p. 148, n. 53.

[42] بالنسبة للقطعة التي عثر عليها بالقرب من فضالة، لم يعط الباحث أية معلومات عنها واكتفى بالقول إنه تلقى الإشارة الخاصة بها من جون ماريون. وكذلك الشأن بالنسبة لقطعة بوزنيقة التي دله عليها جون بوب الذي يعتبر أكبر مختص في آثار موقع سلا الرومانية. أنظر:

R. Rebuffat, *Op. cit*, p. 32.

- أولاهما: قناة شمالية جسدها سلا كولونيا التي ظلت تمثل إلى عهد متأخر نواة الحضارة الرومانية في جنوب موريطانيا الطنجية.

- والثانية: غربية وشمالية-غربية تجسدها سواحل المحيط التي قد شكلت على ما يبدو ممرا تجاريا هاما منذ بداية الألف الأولى قبل الميلاد.

وما يعزز وجاهة هذا الافتراض خلال عهد الرومان هو العثور بالدار البيضاء على لقى أخرى مشابهة، بصورة تؤكد أن ساحل تامسنا في جزئه الواقع بين فضالة والبيضاء كان عرضة لتأثيرات ثقافية قادمة من مجالات رومانية متوسطية . ويتعلق الأمر بقطعة نقدية ترجع لفترة ما قبل الإسلام عثر عليها صدفة في ساحل الصخور السوداء سنة 1926[43] ؛ وهو ما شجع الباحث Brethes على تعميق البحث في المكان الذي وجدت به. وكانت النتيجة - فضلا عن لقى فضية وبرونزية - تجميع ما عدده 169 قطعة رومانية، يؤرخ أقدمها بالفترة القنصلية (16/15 ق.م.)، بينما يعود أحدثها للقرن الثاني الميلادي[44] .

---

[43] J. D. Brethes, *Op. cit*, p. 1

[44] لاحظ بعض الباحثين أن الأوصاف التي قدمها Brethes لبعض القطع تتخللها بعض الأخطاء. انظر: R. Rebuffat, *Op. cit*, p. 32.

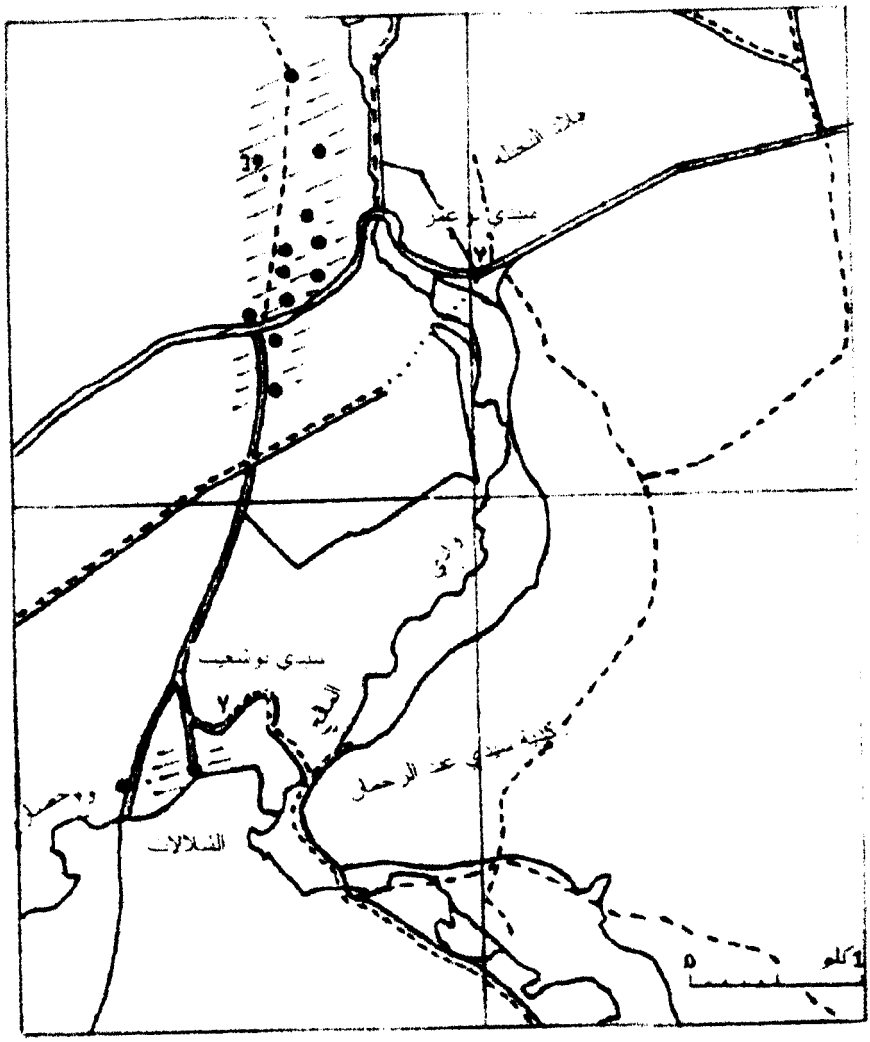

خريطة مواقع ماقبل التاريخ بالوادي المالح
(بتصرف G. Souville, Atlas préhistorique, p. 298)

الفصل الثالث:

فضالة خلال العصور الوسطى

أضحت فضالة خلال العصور الإسلامية منتمية إلى ذلك المجال الواسع الذي عرف في مصادر العصر الوسيط **بإقليم تامسنا**. وتامسنا لفظة بربرية الأصل استعملت في العديد من المناطق المغربية بصيغ مختلفة، ويبدو أنها كانت تطلق على كل بسيط خصب قريب من البحر[45].

وإذا كان المؤرخون لم يتمكنوا من رسم حدود الإقليم، وبدا مفهومه الجغرافي يتراوح بين الاتساع والتراجع حسب الفترات[46]، فإن كلمة تامسنا كانت

---

[45] يشير ابن الخطيب إلى أن الكلمة من لهجة زناتية، وتعني " البسيط الخالي ". ونفترض أن هذا الاسم هو تحريف لاسم " ماسنات " الوارد لدى البكري، والذي يبدو أنه كان يطلق على نهر أم الربيع؛ وبناء على ذلك بادر بعض الباحثين إلى تقريب منطوق تامسنا من اسم *Asana flumen* الذي كان يطلق على النهر المذكور في القديم ؛ وفي بعض جهات الريف استعمل اللفظ بصيغة المذكر " أماسين " أو المؤنث " تماسينت".

وقد أشار الإدريسي إلى ازدحام تامسنا بقبائل متنوعة من البربر، وذكرها الحسن الوزان في كتابه كإقليم تابع لمملكة فاس. وحتى عهد قريب كانت إحدى الأبواب العلوية لمدينة الرباط المنفتحة على الطريق المؤدية إلى البيضاء تدعى " باب تامسنا ". ولا يزال اسم تامسنا في منطقة غدامس بليبيا، وفي شمال النيجر أيضا، ويقصد به البسيط الخالي. انظر: البكري – نفسه – ص 141؛ والإدريسي – نفسه – § 41 – ص 91؛ ولسان الدين بن الخطيب:" أعمال الأعمال " – تحقيق العبادي – البيضاء 1964 – ص 181؛ والوزان – نفسه – ص 194. وأيضا:

E.Laoust, *Contribution à l'étude de la toponymie du haut Atlas*, Extrait de *REI*, 1939, Paris, 1942, p 34.

[46] يوطن ابن خلدون تامسنا بين سلا ومراكش " أواسط بلاد المغرب الأقصى وأبعدها عن الثنايا المفضية إلى القفار لإحاطة درن بها "، وهو نفس التعريف الذي نجده عند صاحب " العز والصولة ". في حين يحدد الحسن

تشمل على العموم ذلك المجال الممتد بين آسفي وسلا من جهة، وبين المحيط ومقدمة جبال الأطلس من جهة أخرى، وكانت المنطقة المتركزة بين البيضاء والرباط قلبه النابض.

وقد برز موقع فضالة منذ فترة قديمة كجزء من المجال الذي استغلته عناصر المصامدة، وكمنطقة خاضعة لنفوذ **قبائل برغواطة** - التي تنتمي - إليها بدرجة أساسية [47]، بفضل تمتعها بمواصفات إنتاجية عالية، وملاءمة ساحلها لاحتضان مرسى جيد للسفن؛ وعدت منذ القرن 2هـ/8م **قاعدة رئيسية للأسطول** البرغواطي [48]، ومركزا مشهورا للمبادلات التجارية الخارجية مع بلاد الأندلس [49].

إن أول شهادة ميلاد لفضالة في التاريخ الإسلامي نجدها لدى البكري في القرن الحادي عشر؛ إذ في حديثه عن الطريق البحرية الرابطة بين نول في أقصى جنوب المغرب وبين أصيلة، ومن خلال شهادة شخص يدعى مومن بن يومر الهواري، قال البكري واصفا المراسي البحرية :"... **ثم جزيرة فضالة وهو ساحل**

الوزان تامسنا بين نهري أم الربيع وأبي رقراق، ويضيف مارمول كاربخال = = إشارة إلى أن أنفا هي عاصمته. انظر: " العبر " - ج 6 - ص 37؛ والوزان:" وصف إفريقيا " - ص 153-54؛ ومارمول:" إفريقيا " - ص 26؛ وابن زيدان:" العز والصولة " - ج 1 - الرباط 1981 - ص 47.

[47] ابن خلدون - نفسه - ج 6 - ص 249.

[48] إبراهيم خلف العبيدي ومحمد الطالبي :" البرغواطيون في المغرب (127 - 542هـ) "، في منشورات الجامعة - البيضاء 1983 - ص 14.

[49] الإدريسي:" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " - ص 91 § 41.

بلد تامسنى بلد برغواطة..."[50].

ورغم اقتضاب هذه الجملة، تبدو لنا هذه الشهادة ذات أهمية بالنسبة لتاريخ فضالة خلال هذه الحقبة، إذ لخص البكري خصائص فضالة في نقطتين أساسيتين:

1. جزيرة **فضالة منفذ تامسنا** على البحر
2. وهي بالنظر إلى ذلك أحد **أهم مواقع برغواطة**.

1- فضالة قاعدة تجارية بحرية:

ومما لا شك فيه أن الفضل في الأهمية التي اكتسبتها فضالة يرجع أساسا إلى موقعها البحري الذي ضمن لها القيام بوظيفة " **مرسى**"، بالإضافة إلى مساهمتها في مراقبة مجال تامسنا، الذي اعتبره الوزان "**زهرة مملكة فاس**"[51].

إن شهادة البكري تقتضي طرح سؤال حول أصول هذا التوجه البحري لفضالة، وتكمن مشروعيته في نص البكري نفسه؛ فبين نول وسلا يتحدث عن سبع محطات على طريق الملاحة يمكن اعتبارها استراتيجية في عهده[52]. ولعل فضالة بجزيرتها كانت

---

[50] البكري - نفسه - ص 87.

[51] الوزان - نفسه - ص 194 و196.

[52] وادي السوس، مرسى أمكَدول (الصويرة)، مرسى فوز (أكوز أو كوز) عند مصب تانسيفت، مرسى آسفي، البيضاء (رأس بدوزة)، جزيرة فضالة، مرسى ماريفن (ربما الصخيرات)، وادي سلى.

أهم مرسى في المجال الفاصل بين البيضاء (رأس بـــدوزة الحالي) وبين سلا.

ويؤكد الإدريسي في القرن الموالي أهميـــة الـــدور الذي كانت تلعبه فضالة، حيث يقول:"**ومرسى فضالـة ترده المـــراكب من بلاد الأندلس وحـــائط البحـــر الجنوبي، فتحمل منه أوساقها طعاما حنطـــة وشـــعيرا وفولا وحمصا، وتحمل منـــــه أيضـــا الغنـــم والمعـــز والبقر**"[53].

لقد نبهت الدراسات المعـــاصرة إلى دور فضالـــة كمحطة تجارية على المحيط في العصر الوسيط[54]، بنـــاء على المعطيات المصدرية المتسمة بـــالندرة وبتضـــارب المعلومات المقدمة عنها؛ حيث يذكر الإدريسي **ازدهـلر فضالة** كمـــرسى على المحيط، وفي المقابل نجد المـــؤرخ المجهول يغفلها تماما في كتاب " **الاستبصار** ". وهذا مـــا يجعل التعامل مع مصادر العصر الوسيط عسير.

إننا حينما نتحدث عن **مركز فضالـــة** لا نقصـــد الموقع الذي تحتله المحمـــدية اليوم، ولا حـــــتى موقـــع القصبة، لافتقارنا إلى المعطيات التي تساعد على تحديـــد

---

[53] الادريسي، § 41، ص 91. وفي موضع آخر يخبر بأن مرســـى فضالـــة الواقع على البحر المحيط الغربي تشكل آخر مجال سكني لقبائل تامسنا.

[54] انظر على الخصوص:

Ch. Picard, *L'océan atlantique musulman de la conquête arabe à l'époque almohade. Mise en valeur des côtes d'al-Andalus et du Maghreb occidental*, éd. UNESCO, Maisonneuve & Larose, Paris 1997 - p 155-157 .

الموقع، والذي قد يكون على ضفاف الوادي المالح في مكان آمن، أو فوق جزيرة فضالة التي تنام اليوم هادئة تحت بنايات الميناء.

ويجب التنبيه أيضا على أن النصوص تظهر **فضالة سابقة عن بروز أنفا**، الذي تزامن - نصيا على الأقل - مع القرن 6هـ/12م، وواكب حملة القضاء النهائي على برغواطة. وقد كان كل شيء يوحي بعمق ارتباط فضالة بالبحر جغرافيا واقتصاديا، وببرغواطة سياسيا؛ ولذلك كان منطقيا أن نستنتج من خلال الشهادات القليلة أن ما أصابها خلال تلك الفترة نتاج للتغيرات الهامة التي عرفتها تامسنا على مستوى الاقتصاد والسياسة.

ففي ما يخص الجانب الاقتصادي، يبدو أن تراجع فضالة قد حدث **بانهيار إمارة برغواطة** التي كانت أكثر ارتباطا بالأندلس منها بالمغرب وسلالاته الحاكمة، وهو ما شجعها على تقوية الاتصالات البحرية بين فضالة كمنفذ تجاري لبرغواطة على البحر وبين باقي مراسي الأندلس[55]؛ ويعني هذا أن فضالة كانت تشكل نقطة التقاء الطرق البرية القادمة من مختلف أنحاء تامسنا، وعبرها كانت تستورد المواد الفلاحية التي حدثنا عنها الإدريسي.

وإذا كنا نجهل وصفا لطريق داخلي عبر تامسنا يربط الشمال بالجنوب قبل القرن 6هـ/12م، فإننا مع

[55] عبد الحليم رجب:" دولة بني صالح بتامسنا " - ص 120.

حلول هذا القرن نجد الإدريسي وابن الخطيب يقدمان وصفا لطريق رابطة بين سلا ومراكش تمر بعيدا عن فضالة، نعتقد أنها كانت تمر عبر بنسليمان والكَارة. وهذا التغيير الحاصل في خطوط التجارة خلال العهد الموحدي سوف تكون له انعكاسات سلبية على فضالة لمدة طويلة؛ كما أن ظهور مرسيي أنفا وأزمور يبدو أنه قد أجهز على الدور التجاري لفضالة بشكل ملموس.

2- فضالة حاضرة برغواطة:

من المرجح أن فضالة كانت تشكل أحد أهم مراكز **إمارة برغواطة** التي قامت على أسس بدعة دينية يمتزج فيها الإسلام الحنيف بالتقاليد البربرية القديمة[56]؛ وكانت منطقة نفوذها خارج حدود دولة الأدارسة. ويؤكد ابن حوقل – الذي زار المغرب خلال القرن 4هـ/10م – أن وادي سلة (نهر أبي رقراق) **إليه ينتهي سكنى المسلمين**[57]، وأن سلا احتضنت رباطات يرابط فيها المسلمون، " **ربما بلغ عددهم عند اجتماعهم مائة ألف إنسان يزيدون في وقت وينقصون لوقت، ورباطهم على برغواطة من قبائل**

[56] يمكن الرجوع إلى الدراسات المتعلقة بهذه الإمارة، والتي مازالت تعكس فترة غامضة من تاريخ المغرب، وأساسا كتاب:" البرغواطيون في المغرب " السابق ذكره.

[57] ابن حوقل - نفسه - ص 82.

البربر على البحر المحيط ". وقد كانت بلاد برغواطة (تامسنا) تتمتع باكتفاء ذاتي[58]، وذات صلات تجارية مع بلاد الأندلس وباقي أنحاء الحوض المتوسطي، مثلما هو الحال مع بعض جهات المغرب، كسجلماسة، وأغمات، والبصرة[59].

ونتيجة لازدهارها، كانت تامسنا تعج خلال العهد البرغواطي بالقرى والحواضر، قدرها البكري بـ (؟؟؟) **مدينة**[60]، بينما أشار الوزان إلى وجود **أربعين مدينة وثلاثمائة قصر**[61].

إن وجود فضالة ضمن المجال الذي كانت تراقبه هذه الإمارة قد كان له الأثر الكبير في نموها، الأمر الذي يشجع على الاعتقاد بأنها قد تكون عرفت حضورا عمرانيا للقبائل المصمودية، لا سيما مع بلوغها أوج ازدهارها في عهد الملك البرغواطي **أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله** أواسط القرن 4هـ/10م[62]، ببروزها كقاعدة للأسطول[63].

---

[58] "وبلدهم بلد مستقل بنفسه عن الحاجة إلى ما في غيره ". نفسه – ص 83.

[59] نفس المصدر والصفحة.

[60] البكري – مصدر سابق – ص 136.

[61] الوزان – مصدر سابق – ص 194.

[62] عن هذا الأمير أنظر: البكري – ص 134-35 ؛ وابن الأثير:" الكامل في التاريخ " – ج 8 – ص 666؛ والنويري: " نهاية الأرب في فنون الأدب " – تحقيق مصطفى أبو ضيف – البيضاء (1984) – ص 315.

[63] النويري – نفسه – ص 315؛ والعبيدي:" البرغواطيون.." – ص 14 .

لكنه مع التباعد الثقافي والعقائدي القائم بين هذه القبائل وغيرها من المناوئين لها، تعرضت منطقة فضالة على غرار غيرها من المناطق الخاضعة للنفوذ البرغواطي للحروب الطويلة، وصمدت بشدة في وجه الهجمات ذات الطابع الجهادي التي شنها **الأدارسة**، وولاة الأمويين من العناصر **الزناتية**؛ ثم خضعت للغزو **الفاطمي** من بعدهم. وكان من نتيجة ذلك تعرضها للتخريب المستمر طيلة هاته الحقبة، دون أن يؤدي ذلك إلى إبادة الحضور البشري والثقافي لعناصر المنطقة.

ولن تعرف المنطقة إخضاعا فعليا إلا بعد سقوطها في يد القوات المرابطية بقيادة **عبد الله بن ياسين** سنة 452هـ/1060م، ومن بعده **يوسف بن تاشفين** سنة 472هـ/ 1079م الذي أباح لجيشه عموم إقليم تامسنا، ونجح في إبادة القبائل البرغواطية ، حتى بلغ عدد القتلى " **مليون نسمة** "[64]، وأجبر فلولها على الهجرة نحو منطقة فاس ، مما عرض المنطقة للخراب والدمار طيلة ثمانية أشهر ".. **حتى لم يبق ظاهرا من المدن التي كانت قائمة غير الأطلال**.."[65]؛ وإن كانت بعض المؤلفات تشير إلى استمرارية الحضور البرغواطي في المنطقة إلى أن تمكن **العهد الموحدي** من اقتلاعه نهائيا[66]. وكما استفادت فضالة من الازدهار فإنها عانت أيضا من الدمار الذي تسببت فيه

---

[64] مارمول - مصدر سابق - ج 2 - ص 205.

[65] الوزان - ج 1 - ص 194-195.

[66] محمود إسماعيل:" مغربيات " - طبعة 1984 - ص 37.

الحروب البرغواطية...

3- الإقرار الموحدي للقبائل العربية:

لقد عرفت منطقة فضالة خلال العهد الموحدي تطورات مهمة على المستويين الإثنوغرافي والديموغرافي، في إطار المتغيرات الفجائية التي مست التركيبة البشرية لإقليم تامسنا الذي تنتمي إليه، وذلك في عهد **أبي يوسف يعقوب المنصور**، حيث تم توطين قبائل من أعراب "**جشم**" المستقدمة من إفريقية أواخر القرن 6هـ/12م [67]، وخاصة قبيلتا "**مقدم**" و"**العاصم**" [68]، وأيضا بعض "**الخلط**" من **بني معقل**[69]؛ وهو ما كان له الأثر الشديد على إخضاع المنطقة للتعريب، وعلى اندثار ما تبقى من عوائدها العمرانية والحضارية، بحكم مواصفات الحياة البدوية التي ألفها الأعراب.

ومع التحول الإثنوغرافي، أصبح هذا الجزء من تامسنا مقصورا على النمط الرعوي، وعلى **تربية الشياه** بصورة خاصة، التي اضطلع بها بعض من هذه القبائل العربية، بأمر من السلطان الموحدي المذكور، الذي أسند تربية أغنامه إلى **حسان الصبيحي** [70]. ولم

---

[67] ابن خلدون – ج 6 – ص 32-33؛ وأيضا: الناصري:" الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى " – ج 2 – تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري – دار الكتاب – البيضاء 1955 – ص 168.

[68] الناصري – نفسه – ص 170.

[69] نفسه – ص 174.

[70] الناصري – نفسه – ج 4 – ص 66-67.

تبرز بالمنطقة في هذه الفترة إلا مدينة **المنصورية** شمال شرق فضالة، لتلعب دور الملجإ والملاذ لركب الحجاج وقوافل المسافرين[71]، تعويضا للفراغ العمراني الذي عرفه محيط فضالة المباشر.

4- الاستقرار الزناتي:

مع انتقال الحكم إلى **بني مرين**، أهدى ملوكهم منطقة فضالة لقبائل بربرية من بني جنسهم، من " **زناتة** " و" **هوارة** "، جزاء على مساندتها لهم في نزاعهم ضد الدولة الموحدية، وأصبح لهذه القبائل مطلق التصرف في الإقليم بعد أن تم طرد القبائل العربية[72].

وسوف يؤدي هذا الواقع إلى الانصهار بين القبائل العربية القائمة في المنطقة، والقبائل البربرية النازحة إليها حديثا، مشكلين بذلك جنسا ونمطا واحدا في الحياة القائمة على النشاط الفلاحي،

---

[71] من خلال المعطيات التي أوردها الحسن الوزان، كانت هذه المدينة - التي أسسها المنصور الموحدي - تقع في سهل جميل على بعد ميلين من المحيط بالقرب من وادي كير، وكانت مهجورة في عهده ؛ ويقدم مارمول نفس المعلومات. وهذه الأوصاف لا تنطبق بالطبع على موقع المنصورية الحالية، ولذلك نعتقد أن البحث عن هذه المدينة يجب أن يركز على المجال الفاصل بين وادي المالح والنفيفيخ الذي يطلق على مجراه العلوي اسم دير، الذي يبدو أنه مجرد تحريف لاسم كير. انظر: خريطة فضالة الطبوغرافية 1/50 000)؛ وأيضا: الوزان – ج 1 - ص 198؛ ومارمول - ج 2 - ص 128.

[72] الوزان - نفسه - ص 19.

وأساسا على رعي الماشية، "**وأطلق منذئذ على الجميع اسم قبائل الشاوية**"[73].

5- بداية الضغوط الأوربية:

وقد عرفت فضالة خلال الربع الأخير من القرن 8هـ/14م وما بعده رواجا تجاريا ملحوظا، خصوصا على يد التجار والصيادين **الإسبان والبرتغاليين**، الذين أقاموا رحلات منتظمة لسوق زروع وفواكه وجلود منطقة تامسنا عبر ميناء فضالة[74].

ومع ذلك لم تعرف فضالة عودة لازدهارها الذي فقدته منذ العهد البرغواطي، خصوصا وأنها كانت على مقربة من " **أنفا** " التي أضحت المركز الأكثر تميزا في الإقليم. وقد نجم عن هذا الوضع أن أصبحت فضالة مرتبطة بتطورات وضعية جارتها، وكان تخريب هذه الأخيرة على يد البرتغاليين سنة 874هـ/1469م[75]، سببا لتعريضها هي الأخرى **للهدم والتخريب**، مع ما لذلك من انعكاس على أمن السواحل القريبة منها، ومن اضطرار ساكنتها للتقوقع بعيدا عن البحر.

ولعل هذا ما يفسر عدم إثارة ساحل فضالة لأي اهتمام لدى الحسن الوزان (مطلع القرن 10هـ/ 16م)، رغم شدة اكتراثه بوصف المناطق المغربية عموما، ومن بينها منطقة تامسنا ، مما يؤكد خلوها آنذاك من أي تركز عمراني مهما كان بسيطا، واعتمادها بالتالي من

---

[73] الناصري - ج 4 - ص 66-67.

[74] Michaux-Bellaire, *Op. cit*, p 34.

[75] الناصري - ص 116-17.

طرف الزهاد والمتصوفة كخلـــوة مؤهلـــة بســـاحلها وبأقواتها وينابيعها لاحتضان بعضهم بعيدا عن النـــاس[76].

6- فضالة الصوفية:

بناء على ما سبق ذكره، تميـــزت ناحية فضالـــة باستقطابها لمريدي الزهد من الشيوخ والمتصوفة، مثلمـــا هو الحال بالنسبة للقائمين بفرض الجهاد والمرابطة ضـــد النصارى؛ وهو ما جعلها مستقرا للعديد من الصلحـــاء والأوليـــاء، ومن بينهم بعض من المنتسبين إلى صلحـــاء " **رجراجة** " المشهود لهم بالصلاح في مناطق الســـاحل الأطلسي[77]، وعلى رأسهم الولـــيان الصالحان **قاســـم الأغماتي، وأبو إسحاق إبراهيم بن عبـــد الصمـــد الصنهاجي** (توفي سنة 596هـــ/1098-99م)[78].

وقد أصبحت أضرحة هؤلاء الأولياء محجا لســـاكنة مختلف المناطق المغربية لما اعتقد في كراماتهم ومقدراتهم، خصوصا في لحظات القنوط، وعند حاجة المســـتجيرين بهم إلى الدعم المعنوي المشهود لهم به.

---

[76] ابن الزيات:" التشوف إلى رجال التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي" - تحقيق التوفيق - كلية الآداب - الرباط 1984 - ص 311.

[77] نشير في هذا المجال إلى انتشار العديد من الروايات الشفوية الـــتي تؤكـــد دور شرفاء رجراجة في الجهاد في المنطقة، ولا شك أنها مستوحاة من التقاليد الروائيـــة التي تنتشر بالخصوص في مناطق عبدة ودكالة. انظر:

A. Mana, *Les Ragraga: la fiancée de l'eau et les gens de la caverne*, Casablanca, 1988.

[78] ابن الزيات - نفسه - ص 311.

ويذكر من بين صلحاء المنطقة:

•**سيدي بودروة:** ويعتقد في اقتباس لقبه من شجرة " **الدرو** "، التي كانت توجد على مقربة من ضريحه. وينسبه البعض إلى صلحاء رجراجة، فيما يجعله البعض منتسبا إلى " **أولاد سيدي بن داود**".

•**سيدي بونوار:** يعتقد في انتسابه هو الآخر إلى صلحاء رجراجة، وقد كان مقيما في منطقة غزوان المعروفة بـ" **أولاد حميمون** "، وبها يوجد ضريحه.

•**سيدي مسعود الرجراجي:** من أولياء رجراجة، ويوجد ضريحه ببلاد " **البراهمة شرقاوة**".

•**سيدي أحمد بن يشو:** أو بن يوسف، يعتقد أنه هو الآخر من صلحاء رجراجة، وكان ضريحه موجودا بدوار " **الحريكَة** ".

•**سيدي محمد الشرقي السائح:** يعتقد في انتسابه إلى الزاوية الشرقاوية لأبي الجعد، ويوجد ضريحه على الضفة اليمنى لوادي النفيفيخ.

•**سيدي أبو عمرو:** يعتقد أنه مراكشي الأصل، قدم إلى المنطقة لمقاومة الاحتلال البرتغالي والجهاد ضده خلال نهاية القرن 9هـ/15م . ويوجد ضريحه ببلاد البراهمة شرقاوة على الضفة اليمنى لوادي المالح.

وإلى جانب هؤلاء الأولياء، احتضنت المنطقة عددا آخر منهم، ما زالت أضرحتهم معروفة، أمثال:

•**سيدي محمد المليح:** يوجد ضريحه بمنطقة "**الفريكو** ".

•**سيدي أبو الإسعاد:** كان ضريحه موجودا على يمين الطريق الساحلية بين المحمدية والدار البيضاء.

•**سيدي عبد الكريم، وسيدي أبو الذبابج،**

وسيدي الغليميين، وتوجد أضرحتهم بمنطقة "**الذبابج**" قرب دوار " **لعمور** ".

•**سيدي علي** قرب منطقة " **عين البويرات** ".

•**سيدي مول لقليعة**: يوجد ضريحه بمنطقة بني يخلف[79].

•**سيدي مسعود**: وضريحه موجود بأراضي قبيلة أولاد الحسن التابعة لجماعة بني يخلف.

•**سيدي الصديق**: يوجد ضريحه بمنطقة بني مغيث.

•**سيدي محمد الهواري وسيدي أبو شعيب " مول الجنانات "**: وضريحاهما موجودان بمنطقة الشلالات.

•**لالة مريم**: ويوجد ضريحها بكدية سيدي عبد الرحمان.

•**سيدي العربي بن المعطي**[80]: من أولياء القرن 19م، ويوجد ضريحه في الجنوب الشرقي للمدينة داخل مقبرة على وشك الاندثار الكلي.

---

[79] تمت إزالة هذا الضريح بعد شق الطريق السيار.

[80] لعله الفقيه الذي تتلمذ على يده الأمير عبد السلام بن السلطان مولاي سليمان، لحظة استقرار القائد القريشي بالمنطقة. انظر: الضعيف – نفسه – ص 363.

الفصل الرابع:

فضالة خلال العصور الحديثة

ورد موقع فضالة بتسميته هاته **في مختلف الخرائط** الملاحية الأوربية للساحل الأطلسي المغربي منذ القرن 9هـ/15م، وخصوصا في خرائط إيطاليا وشبه جزيرة إيبيريا، في إطار التسابق التجاري والاستكشافي التوسعي البرتغالي-الإسباني، نظرا لمواصفاتها الملائمة للاستغلال كمرسى ممتاز، بفعل هيئتها كخليج طبيعي صغير محمي من الرياح الشمالية-الغربية[81]، التي كانت تشكل آنذاك عائقا خطيرا في وجه الملاحة في المياه المغربية عموما.

في حين لم يرد ذكرها عند الحسن الوزان الذي قدم وصفا شاملا لإقليم تامسنا، وذكر فيه مجموعة من المدن الواقعة بين سلا وأنفا؛ وقد عللنا غياب ذكرها في هذه الفترة بتراجع نشاطها الاقتصادي والعمراني.

1- فضالة خلال العهد الوطاسي:

ولم تخف أهمية مرسى فضالة على بحارة مختلف الدول الأخرى، وكذا على بعض السكان من المشتغلين بالعمل الملاحي، إما للربط بين المراسي، أو للقيام بهجمات استنزافية ضد السفن المعادية المبحرة في مياه المنطقة؛ الشيء الذي دفع بالقوات البرتغالية - المتضررة من هذه الهجمات بشكل أكبر - إلى شن أعمال عدوانية ضد الموقع في سنة 891هـ/1486م[82]، أثناء اهتمامها باحتلال الساحل المغربي إجمالا في إطار حرب

[81] Pellon et Bory, *Op. cit*, p 14.

[82] *S. I. H. M.*, 1ere sèrie, Portugal , T I, p 2.

الاسترداد.

ومع الهدنة الوطاسية-البرتغالية أواخر القرن 9هـ/15م، شجع الملوك الوطاسيون تجار أوربا على تسويق المنتوجات الفلاحية انطلاقا من مرسى فضالة، **ورخصوا لهم بإقامة بعض الأبنية** على مقربة منها[83].

2- فضالة في العهد السعدي:

وقد ظل موقع فضالة محدودا في دوره كمرسى للسفن حتى منتصف القرن 12هـ/18م، لا سيما وأن تركيبته البشرية قد اعتمدت في حياتها على الظعن والترحال، وخضعت بفعل ذلك للصراعات المستمرة حول المنتجعات؛ فيما كان ساحلها عرضة للضغط البرتغالي خلال القرن 9هـ/15م، وإن اعتمدت من لدن الوطاسيين كأحد المراسي المخصصة للتواصل مع البرتغاليين أثناء اشتداد المواجهة السعدية-الوطاسية[84].

ومع صعود نجم الدولة السعدية، ونجاح **محمد الشيخ المهدي** في القضاء على الوجود الوطاسي، وفي تحرير الشواطئ المغربية أواسط القرن الموالي، خضعت منطقة فضالة لسلطة القواد السعديين إلى حين اندلاع الحرب الأهلية (982-86هـ/1574-78م) بين **محمد المتوكل "المسلوخ"** وعمه **عبد المالك المعتصم**، حيث

---

[83] عبد الهادي التازي:" مدينة المحمدية الحديثة ومدينة المحمدية القديمة " - مجلة دعوة الحق عدد 10 - 1960 - ص 91-92.

[84] *S. I. H. M*, 1ère série, Pays-Bas, T IV, p 206.

تأثرت المنطقة بذلك، خصوصا وأن نواحيها قد احتضنت إحدى المعارك الفاصلة بين الجيشين، معركة " **خندق الريحان**" في يوليو 1576م (984هـ)، التي جرت على مقربة من التلال المتعرجة لوادي "**الشراط**"[85].

وإذا كان الأمن قد استتب بالمنطقة في عهدي عبد المالك، ثم أخيه **أحمد المنصور الذهبي**(986 – 1012هـ/ 1578–1603م)، فإن ذكرها قد غاب في المصادر، إلى حين ظهور **مولاي زيدان** (1017–36هـ/ 1608–27م) كعاهل شرعي، ومسعاه للتقليص من آثار العمليات القرصانية الأوربية في المياه الإقليمية، وللحيلولة دون سقوط ثغر المعمورة في يد الاحتلال الإسباني، حيث اتخذ مرسى فضالة كموقع للتنسيق بينه وبين قبطان الأسطول الهولندي ، **يان إفريتسن** (*J. Everetssen*) في هذا الشأن سنة 1023هـ/1614م[86]، لولا فشل مشروع التنسيق المشترك نتيجة قيام ثورة أبي محلي.

وما يهمنا في هذا الأمر، هو أن المنطقة ظلت – رغم تفتت الوحدة السياسية للمغرب – مرتبطة بالعرش السعدي، وبحاضرته مراكش، من خلال **تواجد قوات مخزنية** بمرسى فضالة حتى وفاة السلطان المذكور[87]، باعتبارها أحد المرافئ التابعة لمملكته، ومخزنا هاما

---

[85] الناصري – ج 5 – ص 65.

[86] *S. I. H. M*, 1ère série, Pays-Bas, T II, p 282-83.

[87] *Ibid*, T III, p 529-30.

لتصدير الحبوب رسميا[88]، وقاعدة لرسو سفن البعثات الدبلوماسية الأوربية.

3- فضالة خلال الحرب الأهلية في القرن 17م:

إن تهلهل السلطة السعدية في عهد خلفه وابنه **عبد المالك**، قد شجع المجاهد **العياشي** على بسط نفوذه على ساحل تامسنا[89]، في إطار مشروعه الجهادي ضد **برتغاليي مازكان**، ومسارعة قبائل الشاوية إلى الالتفاف حول قيادته ضد الاحتلال[90]، رغم أن هذا النفوذ لم يكن قارا، وكان مرتبطا فقط بالحضور العسكري للعياشي، الذي سرعان ما يعقبه رجوع المنطقة إلى النفوذ السعدي رمزيا، كما أشارت إلى ذلك الوثائق الأوربية سنة 1045هـ/1635م خلال عهد **محمد الشيخ الأصغر**[91].

و لم يمنع النفوذ الإسمي للسلطان على منطقة فضالة المجاهد العياشي من إحراق محاصيل المنطقة - حسب شهادة الأميرال الإنجليزي **ويليام راينسبوروه** (*W. Rainsborough*) حليف العياشي ضد الأندلسيين-، ومن إلحاق هزيمة عسكرية قاسية بالجيش السعدي المجرد

---

[88] رخص مولاي زيدان للسفن الأوربية بوسق الزروع من مرسى فضالة في سنة 1614م، وسمح في سنة 1624م لأحد التجار الهولنديين بتصدير كميات مهمة منها. أنظر: Ibid - p 529-30 et France - T III - p 50.

[89] محمد الصغير الوفراني: "نزهة الحادي" - ص 400.

[90] عبد اللطيف الشاذلي: "الحركة العياشية" - منشورات كلية الآداب - الرباط 1982 - ص 121 و176.

[91] *S. I. H. M*, 1ère série, Pays-Bas, T IV, p 385.

لمساعدة أندلسيي الرباط، عند حدود فضالة سنة 1047هـ/1637م[92].

وقد كانت هذه المواجهة حاسمة في إنهاء العياشي لأية منافسة لسلطته على منطقة تامسنا الساحلية[93]، قصد استغلال فضالة كمرسى أساسية على الواجهة الأطلسية، في ظل افتقاده إلى منفذ بحري تحت تصرفه لتحقيق المبادلات التجارية مع دول أوربا، ولابتياع الأسلحة المطلوبة على الخصوص[94].

4- فضالة في العهد الدلائي:

مع مقتل العياشي سنة 1051هـ/1641م، انتقلت السلطة إلى **الإمارة الدلائية**، التي تحكمت في عموم المغرب الشمالي الغربي، وفي منافذه البحرية غير المحتلة (تطوان، وسلا، وفضالة).

وقد أصبحت هذه الأخيرة محل اهتمام القناصل المعينين لدى **محمد الحاج الدلائي**، لضبط العلاقات التجارية، ومراقبة تجاوزات سفن الجهاد[95]، تنسيقا مع حاكم منطقة مصب أبي رقراق الأمير **عبد الله**[96]، لاسيما وأن فضالة أضحت من بين المراسي الأساسية التي يرتادها الأوربيون[97] لاقتناء المنتوجات المغربية

[92] *Ibid*, Angleterre, T III, p 322 et 340.

[93] *Ibid*, Pays-Bas, T IV, p 482.

[94] كان الساحل الأطلسي الشمالي في تلك الآونة محتلا من طرف الإسبان، باستثناء مرسى أبي رقراق الذي كان تحت سيطرة ديوان الأندلسيين.

[95] *S. I. H. M*, 1ère série, Pays-Bas, T V, p 278.

[96] محمد حجي:" الزاوية الدلائية " - البيضاء 1986 - ص 190.

[97] *Ibid*, Angleterre, T III, p 220.

بأسعار منخفضة[98]، وكذا لاقتناء جزء من مغانم الجهاد البحري[99].

وخلال هاته الفترة كانت فضالة منطقة معروفة بمينائها، دون وجود أي تجمع عمراني، وفق ما يذكره التاجر الإنجليزي كارتريه (*G. Carteret*) سنة 1047هـ/ 1637م، بقوله:" **هذا المكان لا توجد به مدينة ولا قرية، وإنما جزيرة صغيرة توفر ممرا كفيلا بخلق مرسى جيدة** "[100].

5- فضالة خزان للحبوب:

وهكذا، كمنت أهمية فضالة في نشاطها الزراعي الكثيف، وفي مجاورتها لأقاليم فلاحية عالية الجودة، وتفتقر إلى المراسي المعدة للتصدير؛ إذ تميزت منطقة زناتة بكونها خزانا للحبوب[101]، بشكل يفوق إنتاجها بكثير احتياجات الساكنة، " **حتى صار الناس يستبدلون حمل جمل منه بنعلين** "[102]؛ كما عرفت هي ونواحيها بزراعات مختلفة، إذ اشتهرت ضاحيتا **المنصورية والنخيلة** بإنتاج الكروم والخضراوات، وبوفرة البساتين؛ وتميزت **عين الحلوف** بكثرة إنتاجها

---

[98] *Ibid*, p 127 et Pays-Bas, T IV, p 529-30

[99] *Ibid*, T II, p 507 et T III, p 317.

[100] *Ibid*, T III, p 314.

[101] يشهد انتشار المطامير في المنطقة - التي يدعوها السكان في ناحية فضالة " القور " -على وفرة انتاج الحبوب؛ وانظر أيضا مذكرات الأميرال الهولندي ألبرت رويل (Ruyl) لما بين سنتي 1623 و1624م، في:
S. I. H. M, 1ère série, Pays-Bas, T III, p 529-30.

[102] الوزان - نفسه - ص 157.

من العنب البري[103].

هكذا استقطب يسر تواصل فضالة مع البحر عبر المرسى الطبيعي منتوجات مناطق تامسنا وعموم الشاوية، ببروزها كمركز كبير لتسويق الحبوب، وباحتضانها لمجموعة من الأسواق المتناثرة فوقها أسبوعيا، مثل " **سوق النخيلة** " التي كان أهل تامسنا يشدون إليها الرحال[104]، وسوق " **جمعة الفضالات** "، وخصوصا سوقها الأسبوعي " **سوق الأحد** " التي كانت تنعقد إلى الشرق من موقع فضالة (على بعد 4 كلم)[105].

وكانت هذه الأسواق تجلب إليها التجار الأوربيين[106]، نظرا لغياب أية سلطة حقيقية في المنطقة، مما جعلها تكاليفها الجمركية قليلة، بل ومنعدمة في أغلب الفترات، الأمر الذي شجعها على عرض منتوجها الجيد والوفير بأسعار منخفضة وغير قابلة للمنافسة، " **فكان أهل تامسنا يأتون بالدجاج والسمن والغنم للنصارى هدية لأجل أن يكيلوا منهم الزرع، فإذا كان الزرع رقيقا فلا يكيلونه منهم، وإن كان أحمر كذلك؛ حتى كان الرجل الشاوي ينادي النصراني: يا سيدي اشتر مني؛ ولا يلتفت إليه. وكان النصراني يطلع بسباطه على نادر**

---

[103] نفسه – ص 198–201.

[104] نفسه – ص 159.

[105] Michaux-Bellaire, *Op. cit*, p 37.

[106] *S. I. H. M.*, 2e série, France, T I, p 747.

الزرع ولا يبالي "[107].

6- فضالة والجهاد البحري:

إن الميزة الخاصة لمرسى فضالة قد جعلتها تلعب دورا استراتيجيا في نشاط الجهاد البحري الذي عرفه مصب أبي رقراق على امتداد القرن 11هـ/ 17م، حيث برزت كأقرب مركز غير متأثر بإشعاع الثغور المحتلة، ولا بخضوعه بشكل تام لأية سلطة سياسية خلال الفترة الانتقالية بين العهدين السعدي والعلوي، ومن ضمن أفضل الأماكن المتخذة من طرف رياس الجهاد للاحتماء بها من رداءة أحوال الطقس، أو من ردود الفعل الأوربية العنيفة [108].

وقد استفاد رياس الجهاد من مرسى فضالة في عملياتهم البحرية، بحيث أضحى المكان المفضل للجوء من مطاردات السفن المعادية، أو للإفلات من الحصارات المضروبة على قاعدتهم الرئيسية بـ" **سلا الجديد** "[109]؛ فكان مجاهدو مصب أبي رقراق لا يتوجهون إلى مرسى سلا مباشرة خشية تعرضهم لمهاجمة الأساطيل الأوربية، ولا إلى المعمورة الواقعة تحت السيطرة الإسبانية، وإنما إلى فضالة؛ واعتبروا ذلك أفضل طريقة لأمنهم، خصوصا وأن هذا المرسى شكل

---

[107] الضعيف - نفسه - ص 176.

[108] *Ibid* - p 526-27.

[109] حسن أميلي:" الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن 17م " - رسالة د.د.ع. - كلية الآداب - الرباط 1988 - ص 196.

بالطبيعة **موقع حماية للسفن** اللاجئة إليه[110]، وكان من جهة أخرى يسمح للمجاهدين بالاطلاع على سير الأمور بسلا الجديد.

وفي هذا الصدد، ذكر الأميرال الفرنسي **جان ديتري** (*J. d'Estrées*) أن رجال الجهاد البحري كانوا يتعمدون اللجوء إلى فضالة، قبل إخطارهم من طرف زملائهم من سلا الجديد بتحركات الأسطول الفرنسي الرابض قبالة مرسى مصب أبي رقراق بواسطة علامات الدخان[111]. ومن ثم جمع مرسى فضالة بين تصدير المنتوج الفلاحي إلى الخارج وبين تصريف مغانم الجهاد البحري[112].

7- الاهتمام الأوربي بفضالة:

لقد رفع هذا الدور من أهمية فضالة لدى السلطات الأوربية، وخصوصا الفرنسية والإنجليزية خلال النصف الأول من القرن 11هـ/17م[113]، حيث أكدت مختلف التقارير على مدى أهميتها الملاحية، وشجعت سلطاتها على التفكير في ضرورة الاستيلاء عليها[114]، علما أنها قد ظلت قفرا فسيحا يمتد إلى البحر، حسب شهادة

---

[110] *S. I. H. M.*, 2e série, France, T I, p 325.

[111] *Ibid*, p 303.

[112] *Ibid*, T V, p 532.

[113] انظر على سبيل المثال مذكرة المفوض جون هاريسون (J. Harrison) في سنة 1630م، في:

S. I. H. M., 1ère série, Angleterre, T III, p 127.

[114] كواندرو:" قراصنة سلا " - ترجمة محمد حمود - المعهد الجامعي للبحث العلمي - الرباط 199 - ص 140.

التاجر الفرنسي **طوماس لوجوندر** (*Th. Le Gendre*)، الذي أشار في سنة 1076هـ/1665م إلى أن المكلن " **لا توجد به أية مدينة أو قصبة** "[115].

ولهذا، تعددت المبادرات الأوربية الرامية إلى إدخال مرسى فضالة ضمن نفوذها، كمنفذ تجاري مهم، وكنقطة استراتيجية لحماية أساطيلها من جانب، ولمهاجمة مصالح القوى المنافسة من الجانب الآخر[116].

* المحاولات الإنجليزية:

لقد اقترح المبعوث الإنجليزي **هاريسون**، على سلطات بلاده سنة 1039هـ/1630م الاهتمام بفضالة وبتحصينها، باعتبارها إحدى القواعد البحرية الملائمة للاستغلال[117]؛ لكن هذا الاقتراح لم يلاق قبولا فعليا من السلطات. وظل مرسى فضالة عمقا استراتيجيا لسفن الجهاد الرباطية، أضررت كثيرا بالخطط العسكرية الردعية للبوارج الإنجليزية المحاصرة لمصب أبي رقراق[118]، مما أجبرها على محاولة **مطاردة المراكب الجهادية اللاجئة إلى فضالة** خصوصا في سنة 1036هـ/1627م دون نجاح، بسبب الدعم الذي حصل عليه المجاهدون من أهالي المنطقة[119].

---

[115] *Ibid*, 2e série, France, T I, p 737-40.

[116] أميلي - نفسه - ص 229.

[117] *Ibid*, 1ère série, Angleterre, T III, p 127.

[118] أميلي - نفسه - ص 227.

[119] *Ibid*, p 317-18.

*** المحاولات الفرنسية:**

بادرت فرنسا من جهتها إلى التفكير في منع رجال الجهاد البحري من الاستفادة من مرسى فضالة، وبنت ذلك على المشروع الذي قدمه لها المغامر الإنجليزي **أنطوني شيرلي** (A. Sherley) سنة 1036هـ/1627م، والقاضي **باحتلال المرسى** وتحصينه[120]؛ وهو الشيء الذي وافقت عليه، ولم تضطر إلى صرف النظر عنه إلا حفاظا على علاقاتها مع العاهل السعدي من جهة، ونظرا للتكاليف الباهظة التي يتطلبها تنفيذ المشروع.

وبمقابل الإعراض عن فكرة الاحتلال المباشر، عززت فرنسا تواجدها العسكري بالمياه القريبة من المنطقة، للحيلولة دون استمرار وصول السفن الجهادية إلى فضالة[121]؛ ولن تستعيد أفكار مشروعها القديم إلا في سنة 1080-81هـ/ 1670م، مع الصورة المشجعة التي قدمها أحد قباطنتها **ديستيفال** (*D'Estivalle*)، الذي خلص في تقريره إلى يسر تنفيذ العملية، موضحا ما لها من نتائج مفيدة للتجارة الفرنسية، حيث ستمكنها السيطرة على فضالة من **التضييق على الخصم الإسباني**، ومن استغلالها من قبل التجار الفرنسيين بدلا عن سلا الجديد التي يتعرضون فيها للعسف والمذلة، وأيضا لما سيشكله احتلالها من تضييق على سفن الجهاد البحري[122].

---

[120] *Ibid*, Tome II, p 283.

[121] *Ibid*, France, T III, p 208.

[122] *Ibid*, 2ème série, France, T I, p 335-37.

وقد عرف هذا المشروع نفس مصير سابقه، خصوصا وأن المغرب قد انخرط مجددا في وحدة سياسية متكاملة خلال عهدي **مولاي الرشيد** وأخيه **مولاي إسماعيل** ، وبسط الأول لنفوذه على منطقة الشاوية بالقوة منذ سنة 1079هـ/ 1669م[123]، مما جعل فرنسا تقتصر فقط على الاستمرار في الحفر العسكري لمياه فضالة[124].

ويقدم لنا السفير الفرنسي **دو سان أمانس** (*De Saint Amans*) وصفا للمنطقة، خلال رحلته البرية من تطوان نحو مراكش، مرورا بفضالة، في أكتوبر 1682م، بقوله أثناء توقفه بها ضيفا على قائدها:" **دخلنا منطقة تامسنا، وجاء القائد ليلتقي السيد السفير في يوم 26 صباحا، قبل ركوب الخيل... جاء القائد يتمنى سفرا سعيدا للسيد السفير ، وليرافقه مسافة نصف فرسخ ، فمررنا بالقرب من واد الهر، ثم ذهبنا لنتوقف بموقع مرتفع لنتمكن من مشاهدة مرسى فضالة، ثم مررنا قرب واد القنطرة** "[125].

---

[123] محمد القادري:" نشر المثاني لأهل القرن الحادي والثاني " – تحقيق م. حجي وأ. التوفيق – ج 2 – الرباط 1977 – ص 182.

[124] *Ibid*, p 349.

[125] *Ibid*, T II, p 325.

الفصل الخامس:

بناء مدينة فضالة

1- قصبة فضالة:

مع خضوع المنطقة للسلطة المركزية وتمتعها بالاستقرار والأمن، استعادت نشاطها الفلاحي المزدهر، وبدت بمثابة **أفضل إقليم لإنتاج الحبوب وتسويقها** خلال النصف الثاني من القرن 12هـ/18م.

وقد رخصت السلطات المغربية **للقنصل الإسباني** في سنة 1180هـ/1766م بشحن مائة ألف قنطار من القمح، ومثل ذلك لتجار فرنسيين حيث استلزم نقلها استخدام ثلاثين سفينة تقريبا[126]؛ الأمر الذي حدا بالسلطان **سيدي محمد بن عبد الله** - في إطار اهتمامه بانفتاح المغرب على الساحل الأطلسي وعلى التجارة الخارجية - إلى **تأسيس قصبتها** الصغيرة في سنة 1182هـ/1768م.

وقد كان اهتمام السلطان بهذا المشروع يعود إلى سنوات خلت قبل ذلك[127]، رغبة منه في تعدد المراسي الأطلسية المغربية، وحتى لا يبقى النشاط التجاري رهين علاقة السلطة المركزية بساكنتها المتقلبة، ولا سيما فيما يخص **أندلسيي وسلاويي** مصب أبي رقراق، وكذا **أهالي أكادير**.

فبنى قصبة فضالة على **امتداد مساحة خمسة هكتارات** غير بعيد عن الساحل، معززة بسور متوسط السمك والارتفاع، ووفر لها بابين أحدهما باتجاه أنفا،

---

[126] Michaux-Bellaire, *Op. cit*, p 34.

[127] كان تفكير السلطان في إنشاء قصبة فضالة وتطوير مرساها يعود إلى سنة 1174هـ/1760م. انظر: الضعيف- نفسه - ص 170.

والثاني باتجاه الرباط؛ وحصنها بأربعة أبراج تشرف على الواجهات المختلفة، وبالخصوص لمراقبة التحركات المضطربة للقبائل البدوية المنتشرة في جنوب وشمال القصبة، من الزيايدة والمذاكرة، وشيد بها منشآت أساسية: مخازن، وحماما، وسجنا، و" **قصرا** " لاستراحة السلطان أثناء تنقلاته عبر المنطقة[128].

2- تعمير القصبة:

ومن أجل **تعمير المدينة الجديدة**، عمد السلطان إلى اتخاذ جملة من التدابير الهادفة إلى توسيع بنياتها حتى لا يبقى نشاطها مقصورا على الميناء، مانحا للتجار المسيحيين امتياز تصدير القمح منها، واتخاذ الديار والأهراء بالقصبة، وعلى رأسهم البرتغاليون، وأقر بها "**العدول الأمناء من أهل سلا والرباط، يحضرون بالمرسى مع الأمناء من اليهود، وذلك بالإدالة**"[129].

ومع بداية ازدهار النشاط التجاري لمرسى فضالة، شيد السلطان بها سنة 1187هـ/ 1773م مسجدا جامعا " **الجامع الأبيض** "، ومستودعات شاسعة ومحلات تجارية، ميسرا للتجار الأوربيين سبل الاستقرار المتواصل بالمدينة؛ قبل أن يقدم في السنة الموالية على سحب كافة الامتيازات التجارية منهم، وجعلها حكرا

[128] Lampière, *Voyage dans l'Empire du Royaume de Fez*, Paris 1801, p 56.

[129] الضعيف - نفسه - ص 176.

- كما هو الحال بالـــدار البيضاء - علـــى الشـــركة المدريديـــة الإســـبانية " ***Los Cincos Greminos de Madrid*** "، ويقـــول الناصـــري في ذلك: " **نزلوهـــا بقصد التجارة، وسلعهم توسق وتوضع من مرســاها، وبنوا بها البنـــاء الموجود اليـــوم** "[130].

3- تغيير في التركيبة البشرية:

ولتيسير ذلك، وضمانا لاستتباب أمـــن أولئـــك التجار، بادر السلطان إلى **ترحيل** الجزء الأكبر من قبيلة زناتة المستقرة تاريخيـــا بالمنطقـــة إلى **بـــلاد شـــتوكة والشياظمة** قرب أزمور تحت إشراف ولده **المامـــون**، ورحل جزءا من قبائل شتوكة والشياظمة إلى المنطقـــة، قاصدا بذلك إضعاف شوكة العصبية، وتسهيل تحكـــم السلطة بالمنطقة. وإمعانا في ذلك، عين أحـــد قـــواده الكبار، الباشا **محمد بن أحمد الدكـــالي**، على كافـــة إقليم تامسنا، بمهمة تطوير المدينة، حيث " **تكاثر البناء بمرسة فضـــالة** "[131].

4- دورها التجاري:

لقد كانت رغبة سيدي محمد بن عبد الله تتمثل في تمكين فضالة من لعب دور **الميناء** التجاري الرئيســـي **لمناطق زنـــاتة وتامسنا**، وتصدير الحبوب تحت إشراف السلطـــة، خاصة وأن المنطقة كانت منذ أمـــد بعيـــد

---

[130] الناصري - ج 8 - ص 116.
[131] الضعيف - نفسه - ص 176.

سوقا رائجة، وكان مرسى فضالة ميناءها الطبيعي للتصدير إلى الخارج، حيث يقول الضعيف: " **كانت الإبل تأتي إليها كأنها السحاب ليلا ونهارا، وفي كل يوم يعمرون نحو العشرة آلاف فانكة**[132]**، وفي الفانكة أربعة أمداد.. وكان في ذلك أمر عظيم من العمارة من اليهود والنصارى والمسلمين، وهم يجاهدون في اشتراء الزرع، فمن رأى ذلك يفزع..** "[133].

إن هذا الازدهار التجاري سوف يدفع السلطان إلى إبداء الرغبة في المزيد من التحكم في نشاط المرسى[134]، مبادرا في سنة 1193هـ/1779م إلى إقرار فرقة من **عبيد الرباط** بالقصبة، بمهمة حماية المرسى وإقرار الأمن[135]؛ كما عمد في السنة الموالية إلى تشجيع التجار الأوربيين على الاستقرار بها بدلا من المراسي التقليدية كسلا والعرائش، لولا الاعتراض الذي تقدم به القناصل الأوربيون، وعلى رأسهم الفرنسي **لوي شونييه** (*L. Chenier*)، بحجة ضخامة التكاليف التي تستوجبها عملية الانتقال[136].

---

[132] الفانكَة أو الفنيكَة: وعاء للكيل أصغر من الغرارة بقليل؛ والغرارة تساوي 1050 لترا تقريبا.

[133] الضعيف – نفسه – ص 324.

[134] نماذج لمداخيل جمارك فضالة في تقييد عبد الهادي العسري: في 2 ذو القعدة 1187هـ/1774م 36 000 ريال. وفي 22 محرم 1188هـ/1774م عشرون صندوقا داخلها 60 000 ريال، من حساب 3 000 ريال للصندوق. انظر :" كناش في أمور البحر "، مخطوط الخزانة العامة ، رقم D 1409 ، ص 19 و21.

[135] الضعيف ، نفسه ، ص 181.

[136] Höst George, *Histoire de l'Empereur du Maroc Sidi Mo-*

5- تراجع أهمية فضالة:

لكن هذا الوضع قد عرف تأزما ملموسا بعد ذلك، من جراء **الكوارث** التي تعاقبت على المنطقة في تلك السنة (جراد، جفاف، ارتفاع الأسعار)، الأمر الذي حدا بالسلطان إلى إعلان الإقليم خارجا عن السلطة وغير مأمون، و"**برح أن كل من جاز على الشاوية فلا يلوم إلا نفسه، ومن أراد مراكش، أو سوس، أو أزمور، أو الصويرة فليركب في البحر ويحمل معه سلعته، ويترل بالمهدومة** (الجديدة)، **أو بطيط**"[137].

وقد حاول السلطان إعادة الاستقرار إلى المنطقة بتنصيب أحد كبار قواده وثقاته، **عبد الله الرحماني**، على إقليم الشاوية بدلا من رباط الفتح، وأمره بالاستقرار بالدار البيضاء[138].

وسوف تؤدي سياسة السلطان سيدي محمد بحظر التجارة الخارجية في سنة 1194هـ/1780م بكل من موانئ أكادير والعرائش وفضالة، قصد تركيزها بالميناء الجديد الصويرة، وبتشجيع التجار الأوربيين على ذلك بتخفيض حقوق الجمرك بنسبة 2 % عن بقية الموانئ الأخرى[139]، إلى **التراجع السريع لقيمة مدينة فضالة،**

---

hammed Ben Abdallah, trad. Damgaard et Gailhanou, éd. La porte, Rabat 1998, p 112.

[137] الضعيف - نفسه - ص 182.

[138] عبد الرحمان بن زيدان:" إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس" - ط 2 - ج 3 - البيضاء 1990 - ص 348.

[139] Brignon et Co, *Histoire du Maroc*, Hatier 1990, p 278.

وإلى إسداء ضربة قوية إلى مستقبلهـــا.

ومن سخرية القدر، أن اختـــارت فضـــالة أن تستعيد سكونها التاريخي مع وفاة الســـلطان المذكـــور بناحيتها، حيث توفي " **يوم الأحد 25 رجب 1204هـــ بين وادي شراط ووادي يكم في عين الحمـــارة** "[140]؛ ولن تعرف انبعـــاثا جديدا لحيويتها إلا مع حلول عـهد الحماية الفرنسيـــة.

لقد ظلت منطقة فضـــالة متقوقعـــة علـــى نفســـها خـــلال القـــرن 13هـــ/19م، معرضـــة للاضطـــرابات القبلية السائدة في عموم إقليمي الشاوية وتامسنا، مما كان يترتب عنه أحيانا خضوعها لعمليـلت تأديب على يد **عـــرب الدولة** بإيعاز من الســـلطة ، على غرار نزول جزء من **قبيلة بني حسن** تحت قيـــادة **القائد سليمان القريشي** بفضالة سنة 1226هـــ/1810م لإقرار الوضع في المنطقة[141]، دون أن يؤدي ذلـــك إلى استتباب الأمن فعليا، لتأثرها بطبيعة الصراع الدائر على مقربة من نواحيها بين قبائل أولاد حريـــز و مديونـــة والمذاكرة والزيـــايدة، وتناحرهـــا العنيـــف حســـب الضعيف:" **حتى كان الرجل يقتل الرجل ويشق بطنـه ويشرب دمه**"[142].

ومع ذلك، بقيت عناصـــر منطقة فضالة محافظـــة على نمطها القبلي في إطار مجموعات مرتبطة بروابـــط

---

[140] الضعيف، نفسه، ص 200.

[141] نفسه – ص 363.

[142] نفسه – ص 358.

الدم، ومدافعة عن محيطها الخاص تحت رئاسة " **أمغار** " القبيلة؛ وظلت الأنشطة الفلاحية ممتهنة على نطاق واسع، مميزة الإقليم بالوفرة الإنتاجية خاصة على المستوى الزراعي، باعتماد عناصر المنطقة في استغلال الأراضي على توزيع الحقول، حيث كان الميسورون منهم يملكون ما بين أربعة إلى خمسة " **محارث** " (ما يعادل 40 إلى 50 هكتارا)، وتصل الأراضي الصغيرة إلى محراث واحد أو أقل من ذلك [143].

6- حفاظها على الدور التسويقي:

لقد حافظت المنطقة بفعل ذلك على رواجها ورخائها التجاري من خلال عمليات التسويق التي كانت نشيطة بها، وخاصة في الأسواق المنتشرة عبر أرجاء تامسنا على امتداد أيام الأسبوع، الشيء الذي شجع الفرنسيين لحظة دخولهم إلى المنطقة على محاولة ضبط عمليات التسويق هذه قريبا من فضالة ، حيث عززوا " **سوق الأحد** "، بإقامة "**سوق الإثنين**" على مقربة من **قصبة القائد** (9 كيلومترات جنوب فضالة)، سرعان ما حقق معاملات موازية من حيث القيمة للسوق القديمة [144].

7- بوادر التدخل الأوربي:

ومع اشتداد الضغط الأوربي، وتنامي **ظاهرة**

[143] Michaux-Bellaire, *Op. cit*, p 36.
[144] *Ibid*, p 37.

المحميين خلال النصف الثاني من القرن 13هـ/ 19م، شهدت المنطقة تطورا مهما في القطاع الفلاحي مع بداية ظهور ما يشبه نظام الجمعيات الزراعية، وبروز طبقة من ملاك الضيعات من المغاربة بالتعاون مع الأوربيين، وخصوصا الفرنسيين والألمان، الذين كان لهم عند الزناتيين عدد كبير من " **المخالطين** "، أي شركاء زراعيين، تمكنوا من الاستثمار في مساحات شاسعة من الضيعات عالية الجودة.

ومع ذلك، لم تعرف مدينة فضالة الحديثة تطورا مواكبا لأماني سيدي محمد بن عبد الله، حيث ظلت وحتى مطلع القرن 14هـ/20م عبارة عن قصبة صغيرة، تحتضن داخل أسوارها عناصر زناتية لا يزيد تعدادها عن ثلاثمائة نسمة، ويقوم على حراستها أفراد من الحرس المخزني، وتمتد حواليها خيام بطون هذه القبيلة على طول ثلاثين كلم، وعلى مساحة تقدر بـ 350 كلم2، وكانت مهمتها تنحصر في تأمين الطريق الشاطئية بين الرباط والدار البيضاء.

وقد ظل اسم فضالة يطلق على تلك القصبة الصغيرة، التي لم تكن مع ذلك مرشحة للتطور العمراني، بسبب العوائد البدوية المتحكمة في عناصر المنطقة، ونتيجة انتشار المستنقعات في جزء مهم من أراضيها، مع ما تخلفه من أوبئة، ومن إعاقة لمزاولة الأنشطة الزراعية، ومن استعصاء على استقطاب الجديد من العناصر.

8- احتلال منطقة فضالة:

لم تتمكن فضالة من الانبعاث حقيقة إلا عقب دخول الاستعمار الفرنسي إلى المنطقة في غشت 1907م، حيث عرفت اهتماما من قبل سلطات الاحتلال مع إقرار أول حامية عسكرية بها على يد الجنرال الفرنسي **دامـاد** (*d'Amade*) في السنة الموالية داخل حصن منيع، بغية تعزيز أمن الاتصال بين الرباط والبيضاء[145]، لكون هذه المنطقة كانت تشكل أنذاك مركز العمليات العسكرية.

وقد أدى وجود قصبة فضالة على مقربة من مدينة الدار البيضاء إلى استقطاب اهتمام **الشركة الألمانية مانسمان** (*Mannesman*) منذ سنة 1328هـ/1910م، التي، رغبة منها في استغلال موقعها المتميز، أوعزت إلى وكلائها أمر اقتناء الأراضي العقارية وإعداد المشاريع الاقتصادية الملائمة بها، في إطار ضغط الدولة الألمانية على المصالح الاستعمارية الفرنسية، في أفق الحصول على ترضية في مجالات النفوذ الأوربي بإفريقيا.

[145] Pellon et Borry, *Op. cit*, p 6.

الفصل السادس:

فضالة في مركز الاهتمام الفرنسي

كانت فضالة عشية الاحتلال الفرنسي مجرد ثغر صغير، متميز باستقطابه لبضعة صيادين أوربيين، أغلبهم من **البرتغاليين والإسبان**، كانوا - إلى جانب بعض عناصر المدينة - ينشطون الحياة الملاحية في المرسى الصغير، وبفضل نشاطهم هذا اهتمت فرنسا بإعداد وتطوير الميناء الطبيعي لفضالة، وبداية **تأسيس المعامل** المهتمة بمعالجة المنتوجات البحرية[146].

ومع نجاح فرنسا في **توقيع معاهدة الحماية** مع المغرب سنة 1330هـ/1912م، حظي مرسى فضالة باهتمام متزايد من لدن الإدارة الاستعمارية، من حيث التوسيع والتجهيز، حيث استغلت الجزيرتان الطبيعيتان لبناء رصيف متصل باليابسة سنة 1332هـ/1914م زيادة في حماية المرسى.

وقد طرحت أهمية مرسى فضالة أمام إدارة الحماية اختيارها كأحد الموقعين المقترحين لإنشاء **الميناء الأطلسي الكبير لشمال إفريقيا**، قبل أن يتم الحسم من طرف الجنرال **ليوطي** (*Lyautey*) باختيار مرسى الدار البيضاء لذلك، نظرا لمشكل العمق غير الملائم خلال الجزر، والذي لم يكن يسمح إلا برسو البواخر التي لا يتعدى مسحوب مائها خمسة أمتار، تحت طائلة الجنوح على الرمل[147].

---

[146] De Menthon, *Op. cit*, p 7.

[147] Pellon et Borrym, *Op. cit*, p 14.

1- الدور الكبير لشركة هرسنت:

وقد شجع الموقع المتميز لمدينة فضالة رجل الأعمال الفرنسي **جورج هرسنت** (*G. Hersent*) على القيام باستثمارات عقارية مهمة، من بينها شراء الأراضي التي كانت بحوزة شركة مانسمان الألمانية بعد انسحاب اهتمام بلدها من المغرب؛ وأنشأ في هذا الصدد **شركة فرنسية-مغربية** بادرت إلى تشييد الميناء الحديث لفضالة في يوليو 1913م، وإلى تحويله إلى مرفإ ملحق بالميناء الكبير للدار البيضاء[148].

وكانت الغاية المتوخاة من مبادرة هرسنت، ومن تشجيع إدراة الحماية لمشروعه هي تسهيل إنزال القوات العسكرية على البر المغربي في أقصر فترة ممكنة[149]. وكان من نتيجة بناء هذا الميناء الورود الكثيف للعديد من رجال البحرية من مختلف المناطق، ولا سيما من الرباط والدار البيضاء، الذين كان لهم السبق في تأهيل فضالة للاستمرار في دورها الملاحي، وفي خلق أعراف ملاحية حقيقية بها[150].

2- تطور ميناء فضالة:

وفي سنة 1914م أسس الإخوان هرسنت "**شركة ميناء فضالة للبناء واستغلال الميناء**" التابعة للشركة الأم، بمهمة متابعة أشغال البناء، بعد الحصول على

---

[148] Michaux-Bellaire, *Op. cit*, p 35.

[149] Bellon, *Op. cit*, p 5.

[150] R. Montagne, «Les marins indigènes de la zone française du Maroc» , *Hespéris*, vol 3, 1923, p 207.

ترخيص من السلطان **مولاي يوسف** (الظهير المؤرخ بـ 22 ربيع الأول 1332هـ/ 18 فبراير 1914م، والظهير المؤرخ بـ 8 جمادى الثانية 1332هـ/4 ماي 1914م)[151]، والذي منحها **حق احتكار الميناء** إلى حدود تاريخ 31 دجنبر 1994، إلا في حالة البيع التي لا يجب مع ذلك أن تتم قبل فاتح يناير 1970م[152]. وقد ابتدأت أنشطة الميناء مقتصرة بدرجة أساسية على **استقبال البوارج العسكرية**، وسرعان ما شملت المبادلات الخارجية، بفضل توافر خطوط المواصلات الحديدية بين فضالة وغيرها من المراكز الأخرى.

وقد شهد الميناء موازاة مع ذلك برنامج أشغال جديدة، مكن فضالة من التوفر على **ميناء صيد مهم**، يضم مركزا لرسو سفن صيد السردين، مجهزا بقناة اتصال ذات عمق مترين؛ ومركزا لرسو الزوارق الكبيرة بقناة ذات عمق أربعة أمتار ؛ وتشييد قاعة أمام مركز رسو القوارب معدة لاستقبال وبيع منتوج الصيد في المزاد، متصلة بشبكة الخطوط الحديدية؛ إضافة إلى منشآت واسعة أخرى على مساحة 000 18 متر مربع، أعدت للاحتياجات العامة لمرسى الصيد وللمهنيين.

وقد تم تنفيذ هذا البرنامج بمقاييس عصرية، تيسر مهام أرباب مراكب الصيد في حماية الإنتاج والبيع، وحتى في التصدير الخارجي؛ فشكل بذلك عنصرا

---

[151] Michaux-Bellaire, *Op. cit*, p 36.
[152] Bellon, *Op. cit*, p 10.

جديدا للنشاط بالنسبة **لمصانع التصبير والتبريد**[153]، خصوصا وأن فضالة عند مطلع عهد الحماية كانت من أبرز موانئ الصيد البحري بالمغرب، و لم تعرف تراجعا في هذا المضمار إلا مع تكثيف المراكب لنشاطها في الناحية، بشكل أدى إلى تخريب العناصر الغذائية للأحياء المائية[154].

لقد جهز الميناء بحاجز متجذر في الحافة الصخرية لساحل المنطقة، ويشرف على حوض مائي مساحته 24 هكتارا، محدودا بحوالي 300م من الأرصفة؛ كما تمت إقامة قاعدة لرسو سفن نقل البترول على الساحل، وجهز الميناء بمدخل وحوض للتحرك بقطر 180م، إلى جانب إقامة رصيف للصيد على امتداد 100م.

ومع ذلك، لم يكن الدخول مسموحا به للمراكب إلا عند لحظات المد، وقاصرا على السفن التي لا يتعدى حجمها ستة آلاف طن، وعلى ناقلات البترول التي يقل وزنها الإجمالي عن 12 ألف طن. وكانت المساحة الإجمالية المغطاة تمثل ألفي متر مربع، وتشغل الأراضي المخصصة للتخزين 40 ألف متر مربع، فيما كانت خزانات الوقود قادرة على تخزين سعة إجمالية قدرها 15 ألف هيكتولتر، و70 ألف متر مكعب من المواد النفطية[155].

---

[153] Pellon et Borry, *Op. cit*, p 15.
[154] *Ibid*, p 14.
[155] Bellon , *Op. cit*, p 7.

3- منشآته الرئيسية:

إلى جانب نشاط المبادلات التجارية ونشاط الصيد البحري الهام ، برز ميناء فضالة كقاعدة **لاستقبال الواردات النفطية**؛ إذ نتيجة استيراد المغرب **للهيدروكاربور** (*Hydrocarbure*) عبر ميناء الدار البيضاء، وجد في ميناء فضالة - بحكم بعده بما فيه الكفاية عن التجمعات الحضرية الكثيفة - أفضل موقع لتخزين الوقود بالمغرب، وذلك منذ سنة 1924م، مع تأسيس " **الشركة المغربية الأسيوية للبترول**"، ثم " **الشركة المغربية للوقود**" سنة 1927م[156].

وهكذا أصبح ميناء فضالة في ظرف وجيز من أهم الموانئ النفطية في إفريقيا الشمالية، بفضل تطوير إمكانياته لضمان سلامة البواخر الراسية، وبفضل التحسينات الهامة التي طرأت على بنياته الأساسية خلال الأشغال التي امتدت من سنة 1931م إلى سنة 1933م.

ومع التطور الذي عرفه النشاط التجاري لميناء الدار البيضاء، والضغط الكثيف الذي بدأ يتعرض له، واحتياج الإدارة الفرنسية إلى ميناء آخر مساعد على مقربة منه، وقادر على سد الخصاص، بدأ التفكير في مطلع خمسينات القرن الحالي في **ضرورة تأهيل مرسى فضالة** للاضطلاع بهذه المهمة، اعتبارا لموقعها المفضل، ولتجهيزاتها المناسبة.

وفي هذا الصدد، وفي إطار توسعة إمكانيات الميناء،

---

[156] Timoule, *Op. cit*, T II, p 194.

أنجزت في سنة 1951م عدة أشغال لمجابهة متطلبات النقل المتزايد للهيدروكاربور، حيث أصبح المرفأ يتوفر على **خط** بحري مؤلف من **الأنابيب المغمورة** في الأعماق، مرتبط بخطوط الأنابيب وبالخزانات البرية، كان مؤهلا لإفراغ ناقلات البترول في زمن قياسي يعادل 1 000 متر مكعب في الساعة[157]. وكانت التكاليف المالية التي يتطلبها الاستثمار في توسيع وتطوير ميناء فضالة تصل إلى مبلغ 200 3 مليون فرنك.

4- التطور الاقتصادي لفضالة:

مع توافد المعمرين واستقرارهم بفضالة، احتضنت هذه الأخيرةاستثمارات مهمة في القطاعين الفلاحي والصناعي، جعلت منها في مدة وجيزة موقعا لإنتاج **المزروعات المعدة للتصبير**، ولتركز الشركات الرئيسية المستوردة للوقود والنفط والبنزين، وأنشأت بها الخزانات ومستودعات التبريد، ومصانع التصبير، ومعامل للآجر وللأخشاب، فضلا عن المصانع التعدينية الصغيرة.

وقد استفادت فضالة خلال فترة ما بين الحربين العالميتين من زيادة انتشار المعامل والمصانع والشركات الاستثمارية، بفضل الورود المفاجئ الكثيف لرؤوس الأموال الفرنسية، الهاربة من السياسة الضريبية المطبقة في البلد الأصلي. وهكذا عرفت الجهة الجنوبية للمدينة، باتجاه الدار البيضاء، إقرارا لحي

157 Bellon, *Op.cit*, p 1.

صناعي جديد، استقطب من حولـــه آلاف العمـــال بأسرهم وبـــ" **نـــوالاهم** "[158].

*** القطاع الفلاحي:**

سعيا وراء استدرار الخـــيرات الفلاحيـــة لمنطقـــة فضالة، واكبت شركة هـــرسنت المجهودات المبذولـــة من لدن فرنسيي القـــرن 13هـــ/19م، مبـــادرة إلى الاستثمار في الأراضي الزراعية، بشـــراء مســـاحات شاسعة من الضيعات، وبلغت ممتلكاتها في هذا القطـــاع أزيد من 1500 هكتـــار في أواسط ســـنة 1914م[159]، بمقابل مائة هكتار في ملكية الألمان، وأربعين هكتـــارا موزعة بين مختلف الجنسيات الأخرى.

وقد صارت فضـــالة خلال ثلاثينات القرن منطقـــة إنتاج زراعي مركز جدا ، بفعـــل تجميـــع الحقـــول الصغيـــرة في هيئة **ضيعات زراعية عصرية مؤللة** علـــى النمط الأوربي. وفضلا عن المناخ الملائم للمنطقـــة ، تم اعتماد **نظام سقـــوي** على أعلى مستوى، جعل منـــها إحدى أخصب أراضي السهول الأطلسية المغربية.

وقد تركز الإنتاج - إلى جانب **الحبـــوب** الـــتي كانت تشغل أراضي شاسعـــة منـــها - في تحصيـــل **الخضراوات والبواكر والكروم** الأساسية والمشـــتقات الرعوية، كما شهدت أيضا بداية تجارب ناجحة لإنتاج الجديد من المواد الموجهـــة للتصنيـــع، وخصوصـــا

[158] De Menthon, *Op. cit*, p 3.
[159] Michaux-Bellaire, *Op. cit*, p 39.

القطـــن والتبـــغ [160].

*** مصانع التصبير:**

شجعت الاستثمـــارات القائمة بفضالـــة علـــى الرفـــع من القدرات الإنتاجية للأراضـــي الفلاحيـــة بفضل انتشار تصنيع المنتوج الفلاحي للمنطقة ، وتعـدد المصانع المختصة في **تصبير الخضـــراوات والبواكـــر واللحوم** التي تمدها بها ضيعات النواحي، وخصوصـــا الشـــركتين الكبـــيرتين " **ســـيفان** " (*S.E.F.A.N.*)، و**كاسكاديك** (*CASCADEC*)، وتعاقد أرباب المصـــانع والمعمرين الزراعيين من أجل ضمان إنتاج نموذجي [161].

وقد اهتمت أول مصانع المدينة **بتصبيـــر الأسمـــاك** المصطادة بوفرة بمياـــه المنطقـــة، وخصوصـــا أسمـــاك السردين؛ وظل هذا القطاع هو المسيطر علـــى الحيـــاة الصناعية المحلية، بتعدد وحداته، وبتشغيله ليد عاملـــة متزايدة سنة بعد أخرى ، إلى حين فقدانه للمادة الأولية في نهاية الثلاثينات، نتيجة هجـــرة أســـراب أسمـــاك الســـردين.

وهذا الوضع السلبي قد فـــرض علـــى أربـــاب المصانـــع - حفاظا على استثماراتهم - جلب الأسمـــاك خاما من أسفي عن طريق النقل الـــبري، أو بتحفـــيز مراكب الصيد المحليـــة على ملاحقة تلك الهجـــرة إلى المجال الممتد بين الجديدة وأسفـــي، والرجوع بمنتوجـــها

---

[160] Pellon et Borry, *Op. cit*, p 17.

[161] De Menthon, *Op. cit*, p 9 et 10.

إلى ميناء فضالة. ورغم ارتفاع تكاليف هذه العمليات، حافظت الصناعة السمكية بفضالة على أهميتها، وظلت تصدر منتوجها إلى كل جهات العالم، بما في ذلك الأسواق الأمريكية [162].

*** صناعات أخرى:**

من الأنشطة الصناعية الأخرى التي استحدثها المعمرون، إنشاء **معامل لإنتاج الآجر**، رغم افتقاد المنطقة إلى المادة الأولية، التي لم تكن تنتج منها إلا القليل. وقد كان لزاما على أغلب المصانع، والحالة هذه، جلبها من المناطق الأخرى، وحتى باستيرادها من الخارج. وكان الدافع الذي شجع المستثمرين على ذلك هو انفتاح الإنتاج على السوق العملاقة للدار البيضاء، وعلى التصدير عبرها إلى الخارج، إلى جانب الوجود الكثيف لِيد عاملة رخيصة، وتوافر رؤوس أموال ضخمة [163].

ومن جهة أخرى، عرفت المدينة قيام **مصانع** مهمة **لإنتاج النسيج**، بفضل الإنتاج المحلي لمادة القطن في ضيعات المعمرين؛ وكان من بين أبرز الشركات التي عرفتها فضالة آنذاك، شركة " **إيكوما**" (*I.C.O.M.A.*) العملاقة للنسيج، التي قامت على الإدماج الكامل للإنتاج، وعلى التخصص في مختلف مراحله، حيث كانت تستقبل القطن الخام من الناحية وخارجها،

---

[162] *Ibid*, p 8.
[163] *Ibid*, p 9.

وتعالجه آليا قبل إعداده للبيع أقمشة جاهزة، معتمدة في كل ذلك على يد عاملة لا تزيد عن أربعمائة فرد، مشرفين على مكننة متسلسلة [164].

* القطاع السياحي بالمدينة:

بدت مدينة فضالة منذ ثلاثينات القرن العشرين **كأحد المراكز السياحية** المفضلة لدى المعمرين، مستفيدة من شاطئها الجميل الممتد على هيئة قوس، وعلى طول ستة كلم من الرمال عالية الجودة، بمياهه المحمية غربا من حركة الأمواج بحافة صخرية، بصورة جعلته أكثر ملاءمة لنشاط السباحة، والرياضات المائية الأخرى [165]؛ الشيء الذي جعل المدينة تستقطب أعدادا متزايدة من المصطافين على مدار السنة، وبالأخص خلال عطل نهاية الأسبوع [166].

ولاستغلال معطياتها السياحية بشكل أفضل، لعبت الشركة الفرنسية هرسنت، والمصالح البلدية بعد ذلك، دورا حيويا في تجهيز فضالة بصورة أنيقة، جعلت من شاطئها الأكثر تميزا عن بقية الشواطئ المغربية الأخرى . فقد أقدمت " **الشركة العقارية لفضالة** " التابعة لمجموعة هرسنت على اقتناء أغلبية الأراضي الواقعة مباشرة خلف الشاطئ، وأعدتها لإقامة تجزئات ومنشآت وحدائق، في أفق خلق **مركز**

---

[164] *Ibid*, p 12.
[165] *Ibid*, p 20.
[166] *Ibid*, p 3 et 21.

سياحي عصـــري[167].

كما بادرت مجموعة هرسنت إلى إنشـــاء **فنـــدق ميرامار** (*Miramar*) الفخـــم؛ **والكـــازينو** (*Casino*) المشرف على البحر، والواقع وسط حديقة نخيل جميلـــة غرست على الطريقة الفـــرنسية. وأنشأ أول **ملعـــب** كبير **لرياضة الكولف** بتجهيزاته الأساسية على مساحة أربعين هكتارا، وطول ثلاثة كلم، اعتـــبر الأجمـــل في المغرب؛ فضلا عن منشآت رياضية أخرى، ولا ســـيما **ملاعب كرة المضرب**، ومرافق خاصـــة **بالرياضـــات البحرية**، سمحت وضعية الميناء بإحداثـــها، وبتنظيـــم **سباقات سنوية للشـــراعيات**[168].

ولضمان **الإعداد الأنيق للمدينة** الســـياحية، اتخذت المصالح البلدية بعد ذلك جملة مـــن التدابيـــر والإجراءات، التي تفرض على المســـتثمرين العقـــاريين تشييد منازل منخفضة ومحاطة بالنبـــاتات، بما يوفـــر الإحساس بالهدوء والسكينة، وبمـــا يســـمح للنســـيم البحري الطري بالولوج إلى قلب المدينة . وبادرت مـــن جهتها إلى غرس الأزهار والحدائق العمومية للمســـاهمة في تعزيز رونق فضـــالة[169].

ورغم كل المجهـــــودات المبذولـــة، لم تتمكـــن السلطات ولا المستثمرون الخواص من جعـــل فضالـــة مركزا سياحيا قطبـــا؛ حيـــث إلى حـــدود مطلـــع

---

[167] *Ibid*, p 22.

[168] 0Pellon et Bory, *Op. cit*, p 8-9,12 et De Menthon, *Op.cit*, p. 23.

[169] De Menthon, *Op. cit*, p 22.

الخمسينات، ظلت العديد من الأراضي خلاء، ومعوزة إلى النظافة، إلى جانب **الخصاص الواضح في الحمولة الفندقية**؛ حيث باستثناء فندق ميرامار المرتفع السعر، كانت المدينة تشكو من قلة الأسرة ومن ضعف القدرة الاستيعابية لزبناء المنتوج السياحي، وما وجد منها كان غير مؤهل لاحتضان السياح، الشيء الذي أثر على حجم المصطافين، الذين لم تكن أعدادهم تتجاوز 500 1 زائر شهريا، ولم تكن ذروة الإستقبال تسجل استثناء إلا في نهايات الأسبوع [170].

وقد كان التصميم الحضري لأواخر الأربعينات، والمعد لتأهيل فضالة على المستوى السياحي، يقضي بتوسعة الطاقة الاستيعابية الفندقية، لا سيما بإنشاء حي " **أماد** "(Amade) المخصص للفيلات على مساحة خمسين هكتارا، وفق مواصفات دقيقة، وجمالية متناسقة؛ ومن جهة أخرى كان المشروع يقضي بتوسيع فندق ميرامار، وبتعزيزه بفندق كبير آخر [171].

كما كانت شركة هرسنت تستعد للزيادة في حجم الكازينو، وتجاهد في سبيل الحصول على الترخيص بافتتاح قاعات للألعاب به، في أفق جعل أبوابه مشرعة في وجه الأوربيين على مدار السنة، على غرار ما كانت تنوي القيام به إزاء ملعب الكَولف

[170] De Menthon, *Op. cit*, p 23-24.
[171] *Ibid*, p 37-38.

والمركب الرياضي، بما في ذلك إنشاء **ملعب لسباق الخيول**، وإقامة **غابة اصطناعية** عن طريق تجفيف أراضي الملاحات [172].

[172] *Ibid*, p 39.

التوسع الحضري لفضالة من 1900 إلى 1955

من خلال : M. Lamidey, « Fedala », dans BESM, 1950

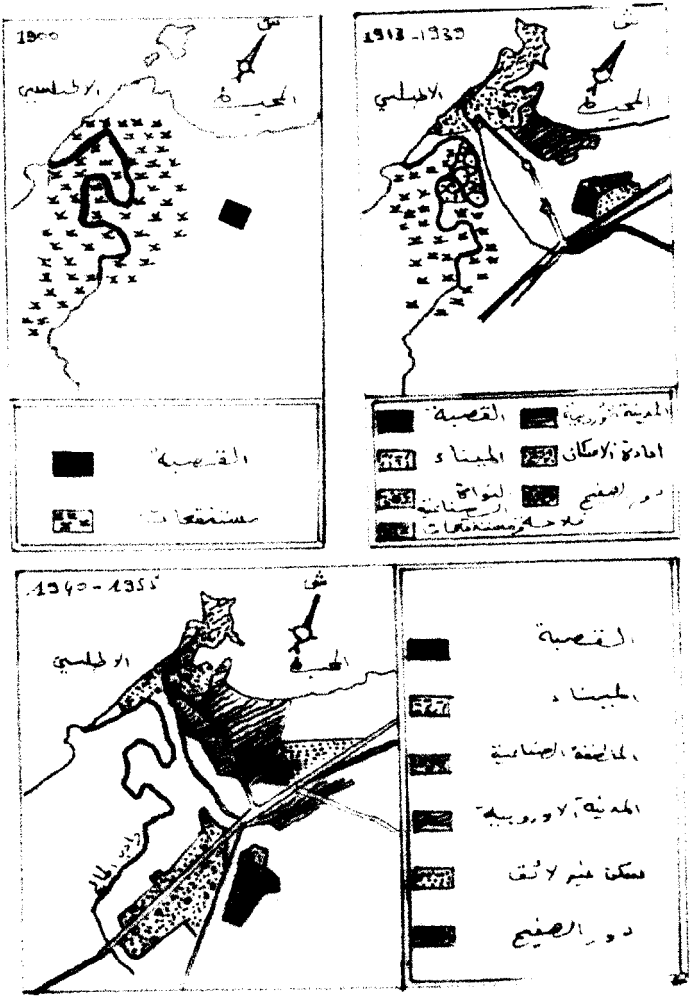

الفصل السابع:

مجتمع فضالة خلال عهد الحماية

ظهرت مدينة بلاد زناتة، فضالـــة، في منتصـــف أربعينات القرن العشرين، بمثابة **مركز حضري جديـــد سريع التطور**، ومتعدد الأوراش، بغية اللحاق بـــالنمو السريع لأعداد قاطنيه، وخاصة العمال والسياح؛ وقـــد دفعها هذا التطور إلى التوســـع تدريجيـــا في جهتـــها الشمالية-الشرقيـــة.

ومع ذلك، فإن قرب فضالة من الـــدار البيضـــاء حكم عليها **بالتبعية شبه المطلقة** لهـــا علـــى مختلـــف الأصعدة؛ حيث أن غياب التجارة التقسيطية بها مـــن جهة، وافتقارها إلى المؤسسات المالية، جعلـــها ســـوقا مرتبطة بأختها الكبرى، ويدل على ذلـــك انتشـــار الفيلات والأكواخ العمالية، مقابل افتقارها إلى المبـــاني المخصصة للكراء، وإلى العمارات التي تمـــيز المراكـــز الكبـــرى، حتى غدا **معمار فضالة أشبه بمركز ضاحيـــة** منه إلى مركز حضـــري [173].

1- شروط اجتماعية متردية:

لقد عرفت فضالة **هجرة قروية مكثفة** من مختلـــف المناطق، ولا سيما من الأقاليم الجنوبية، وبصورة رئيسية خلال " **عام البـــون** " سنة 1945م؛ حيث اســـتقرت بهوامشها مجموعات بشرية كاملة محرومة مـــن كـــل وسائل العيش ، وظلت سنة بعد أخرى تستقطب المزيد من الباحثين عن شغل [174]. وهذا ما يفســـر انتقالهـــا السريع من خمسمـــائة نسمة (300 مغربي و200 أوربي)

[173] De Menthon, *Op. cit*, p 1-2.
[174] *Ibid*, p 10.

من خمسمائة نسمة (300 مغربي و200 أوربي) سنة 1914م، إلى أزيد من 21 000 نسمة (18 537 مغربي و3 015 أوربي) في يوليو 1948م[175]، أي بزيادة قدرها حوالي 44 ضعفا في غضون 34 سنة.

لقد كانت فرص الشغل في فضالة غير قارة، حيث أن الشركات والمصانع كانت تجعل نسبة هامة من **كتلة اليد العاملة عائمة**[176]، خاصة في مصانع التصبير التي كانت مرتبطة أشد الارتباط بمدى توفر المواد الخام. وكانت العديد من هذه المصانع تستخدم العديد من النساء، وحتى من الأطفال الذين لا تتعدى أعمارهم تسع سنوات[177].

وقد أدرجت فضالة ضمن **المرتبة الثالثة لسلم الأجور بالمغرب**، وهي المرتبة التي حدد فيها منذ مارس 1948م الحد الأدنى للساعة الواحدة في 29 فرنك، والمدة العادية للعمل في 48 ساعة أسبوعيا، ويصل فيها الراتب الشهري إذن إلى 5 800 فرنكا عن 200 ساعة[178]. وبالطبع، لم يكن الأطفال والنساء ولا عمال الضيعات يحصلون إلا على أقل من ذلك؛ ومن تم كانت تكلفة اليد العاملة - حتى بالمؤسسات الصغرى - لا تصل إلى نسبة 5 % من المجموع العام

---

[175] De Menthon, *Op. cit*, Annexe, p 2.

[176] على سبيل المثال، كانت شركة " كاسكاديك" المختصة في تصبير السمك والخضراوات لا تشغل بصفة منتظمة إلا 40 عاملا، وتتوفر في الوقت ذاته على يد عاملة عائمة تصل إلى 400 عامل مياوم أو موسمي. أنظر: *Ibid*, p 15.

[177] *Loc.cit.*

[178] *Ibid*, p 16.

لكلفة الإنتـــاج [179].

ومن الواضـــح أن مستوى عيش العمـــال كـــان متدنيا جدا، حيث كانت مصاريف القوت – رغـــم بساطتها – تلتـــهم المدخـــول تقريبـــا، ولا تســـمح بتخصيص ولو بجزء يســـير للمصـــاريف الضروريـــة الأخرى، من ملبس، ومسكن، وكهرباء، دون الحديث عن التجهيزات الأخرى. وكانت غالبية هؤلاء العمـــال تتكدس حول القصبة في " **نوالات** " من القـــش، أو في أكواخ صفيحية داخل دواوير، تنعـــدم فيـــها أبســـط شروط الوقاية والعيش الكريم [180].

2– تناقضات اجتماعية:

هكذا، وبفضل النشـــاط الصنـــاعي للمعمريـــن، والتطور الهائل الذي عرفه ميناؤها، توســـعت المدينـــة بشكل بارز، حيث استقطبت أيادي عاملة من مختلـــف المدن والبوادي، وأصبحت مركزا رئيســـيا مســـتعدا لتحقيق الربط بين مدينتي الرباط والدار البيضاء. وقـــد كان من نتائج توسعها الديمغرافي المفاجئ تطور ســـريع في عمران المدينة، حيث أنشئ خارج القصبـــة **الحـــي الأوربي للمعمـــرين** وفق مواصفات حديثة وجميلـــة، كما ظهرت **أحياء الصفيح** في منطقـــة " **العاليـــا** "، واتسعت بذلك الرقعة الجغرافية للمدينة بصفة ملحوظـــة باتجاه البيضاء جنوبا، وباتجاه قصبة المنصورية شرقا.

---

[179] *Loc. cit.*

[180] De Menthon, *Op.cit*, p 17.

وكان أغلب العمال يستقرون حوالي القصبة الأصلية، وبعضهم يتخذ أكواخه في الأراضي الفارغة، غير بعيد عن الفيلات الفخمة للحي الأوربي[181]، بما يخلقه ذلك من **تناقضات مظهرية وحياتية**، بين بعدي فضالة الصناعي والسياحي، مما حدا بسلطات المدينة إلى بداية التفكير في **إعداد تصميم حضري جديد** يفصل بين نشاطي المدينة المتباعدين في نهاية الأربعينيات، مؤسس على تصاميم التهيئة المعدلة منذ سنة 1928م[182].

لقد كان هذا التصميم يقضي أساسا **باستحداث حي عمالي** بعيدا عن الحي الأوربي، ويوفر حدا أدنى من الشروط الوقائية والعمرانية، هو حي " **فضالة-العاليا** "[183]. وقد شرع في تنفيذ المرحلة الأولى من هذا المشروع ابتداء من شهر يوليو 1948م، بفضل الدعم المالي " **للمؤسسة الإسلامية الخيرية** " (*S.M.B.*)، والمساهمة العقارية والتقنية " **لشركة فضالة العاليا**" (*S.I.F.A*) التابعة لمجموعة هرسنت، وقدر الانتهاء منه في غضون سنتين[184].

3- التعليم العصري:

على غرار المدن والمراكز المغربية، عرفت قصبة فضالة إنشاء **الكتاتيب القرآنية** للتعليم والتثقيف، مع

[181] *Ibid*, p 26.
[182] *Ibid* - p 29 et 30.
[183] *Ibid* - p 32.
[184] *Ibid*, p 34-35.

اقتصار **المدرسة الملحقة بالجامع الأبيض** على تعميق المعرفة[185]، قبل توجيه النوابغ من شبابها إلى الرباط وفاس.

وقد أقامت السلطات الفرنسية بعد فرض عقد الحماية **لبنة أولى للتعليم العصري** في القصبة سنة 1912م، ضمت 53 تلميذا، وكانت الدروس تلقن لأبناء الأهالي من طرف مدرس عسكري تحت إشراف مكتب الدار البيضاء. وفي سنة 1914م أصبح التعليم مدنيا من طرف مدرس ذي مهنة وخبرة؛ في حين كان أبناء المعمرين يتلقون تدريسهم من قبل مدرسات فرنسيات.

ولأجل ذلك، أنشأت الإدارة التعليمية قاعتين مدرسيتين، إحداهما على مقربة من محطة القطار، والثانية قرب الميناء[186]. وقد تطور التمدرس بفضالة بدرجة ملموسة مع توالي السنوات، حيث بلغ أعداد المتمدرسين من المغاربة في أكتوبر 1948م، ذكورا وإناثا، ما مجموعه 869 تلميذا في مختلف الأسلاك[187].

4- فضالة المقاومة:

إن التحولات التي أحدثها واقع الاستعمار في المدينة، سرعان ما دفع الساكنة إلى **الانخراط في**

---

[185] حركات: "المغرب عبر التاريخ" - ج 3 - ص 534.

[186] Michaux-Bellaire, *Op. cit*, p 38.

[187] De Menthon, *Op. cit*, Annexe, p 9.

المقاومة المسلحة منذ بداية الحضور الأجنبي فوق أراضي الشاوية، **بمشاركتهم في انتفاضة 1907م** التي سجلت أول تلاحم بطولي بين قبائل المنطقة للدفاع عن الهوية المغربية [188]، ودام ذلك إلى حين تبلورها **في ثورة الملك والشعب**، حيث كانت خلايا فضالة جزءا لا يتجزأ من خلايا الدار البيضاء، وتابعة لقيادتها، ومسؤولة بدرجة كبيرة على تقويض أحلام معمري المدينة، الذين اعتبروها ثمرة مجهوداتهم الخاصة.

وهكذا، كانت الضيعات الفلاحية والأراضي العقارية والمحاصيل الزراعية ميدانا **للعمل الفدائي المستمر**، وكانت كل اللحظات التاريخية الكبرى التي شهدها المغرب أو بقية أقطار شمال إفريقيا (**تقديم وثيقة الاستقلال، مقتل النقابي التونسي فرحات حشاد، محاكمات الفدائيين..**)، وكان أبرزها على الخصوص مناسبات الاحتفال **بأعياد العرش، وزيلوات السلطان محمد بن يوسف** للمنطقة تجد صدى لها في أوساط ساكنة فضالة، رغم الوعي التعليمي المحدود.

وهكذا، وبدافع **الشعور الوطني التلقائي**، وبتوجيه من قيادة مقاومي الدار البيضاء وعلى رأسهم **الشهيد محمد الزرقطوني**، أحكم تنظيم خلايا المقاومة بفضالة في **ثنائيات منفصلة** بعضها عن بعض، قدمت جهودها ودماءها وأرواحها فداء للوطن، من خلال ضرب

[188] أحمد الزيادي:" انتفاضة الشاوية 1907م " - دار قرطبة - البيضاء 1982- ص 5.

مصالح المعمرين وأذنابهم من الخونة، وبالقيام أحيانا باغتيالات وبترهيب الحضور الفرنسي بالمدينة، واستتراف مصالحه بتنظيم أيام الإضرابات ومقاطعة بضائع الاحتلال.

وقد كان رد دهاقنة الاستعمار لإخضاع المدينة، وطمس هويتها الوطنية تنكيلا وبطشا، خصوصا مع إنشاء المنظمة الإرهابية المضادة " **اليد الحمراء** "، التي أذاقت ساكنتي الدار البيضاء وفضالة ومن سقط في يدها من الرجال الوطنيين صنوف التعذيب والقهر، غير لأن ذلك لم يؤد إلا إلى المزيد من صمود أهل فضالة، وإلى انخراطهم في خلايا المقاومة، ومواجهة المخطط الاستعماري، إلى أن بزغ فجر الاستقلال.

بيبليوغرافيا

1- ابن الأثير:" **الكامل في التاريخ** " – دار صادر – بيروت – 1979.

2- ابن حوقل:" **صورة الأرض**" - دار الكتاب - القاهرة - د. ت.

3- ابن الخطيب:" **أعمال الأعمال** " - تحقيق أ. العبادي - البيضاء 1964.

4- ابن خلدون، عبد الرحمان:" **العبر وديوان المبتدا والخبر** " - دار الكتاب اللبنانية - بيروت 1992.

5- ابن الزيات، يوسف بن يحيى التادلي:" **التشوف إلى رجال التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي** " - تح. أ التوفيق - منشورات كلية الآداب - الرباط 1984.

6- ابن زيدان، عبد الرحمان:" **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس** " - ط 2 - ج 3 - البيضاء 1990.

7- ابن زيدان، عبد الرحمان:" **العز والصولة** " - المطبعة الملكية - الرباط 1981.

8- الإدريسي، الشريف:" **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** " - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - د.ت.

9- إسماعيل، محمود:"**مغربيات**"- دراسات حديثة- ط1984.

10- أميلي، حسن:" **الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن 17م** " - رسالة د.د.ع. - كلية الآداب الرباط - 1988.

11- آيت موسى، أحمد:" **نشأة المحمدية ومراحل توسعها** " ضمن **مدينة المحمدية ومحيطها البيئي** - تنسيق م. الأكحل وم. أزهار - منشورات كلية الآداب المحمدية، 1997

12- البكري، أبو عبيد الله:" **كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب** " - طبعة دوسلان - باريس 1965.

13- بنمنصور، عبد الوهاب:" **قبائل المغرب**" - المطبعة الملكية - الرباط 1968.

14- التازي، عبد الهادي:" **مدينة المحمدية الحديثة ومدينة المحمدية القديمة** " - دعوة الحق - عدد 10 - 1960.

15- حجي، محمد:" **الزاوية الدلائية، ودورها الديني والعلمي والسياسي** " - ط 2 - مطبعة النجاح الجديدة - البيضاء 1986.

16- حركات، إبراهيم:" **المغرب عبر التاريخ** "- دار الرشاد الحديثة - البيضاء - 1994.

17- رابحة صالح ووزا علي:" **بعض المعطيات الطبيعية لمنطقة الشاوية** " - في: **الشاوية : التاريخ والمجال** - منشورات لجنة الشاوية - البيضاء 1997.

18- رجب، عبد الحليم:" **دولة بني صالح في تامسنا** "

19- الزيادي، أحمد:" **انتفاضة الشاوية 1907م** " - دار قرطبة - الدار البيضاء 1982.

20- الشاذلي، عبد اللطيف:" **الحركة العياشية** " - منشورات كلية الآداب - الرباط 1982.

21- الشاذلي، عبد اللطيف:"مساهمة في التعريف بتاريخ فضالة "- **بحوث** عـــدد 2-3 - كليـــة الآداب المحمدية 1990.

22- الضعيـــف، الربـــاطي:"**تـــاريخ الدولـــة السعيدة**" - تحقيق العماري - دار المأثورات - الربـلط 1986.

23- ضيف، شوقي:" **تاريخ الغرب الإســـلامي في العصر الوسيط** " - البيضاء - د. ت. (1984)

24- العبيـــدي، إبراهيـــم خلـــف والطـــالبي، محمد:" **البرغواطيون في المغرب** " - منشورات الجامعة - البيضاء 1983 و طبعة منشورات تانسيفت - البيضاء 1999.

25- العسري، عبد الهادي:" **كناش في أمـــور البحر** " - مخطوط الخزانة العامة - رقم D 1409.

26- القادري، محمد بن الطيب:" **نشر المثـــاني لأهل القرن الحادي والثاني** " - تحقيق محمد حجـــي وأحمد التوفيق - مكتبة الطـــالب - ج 2 - الربـــاط 1977.

27- كواندرو، روجي:" **قراصنـــة ســـلا** " - ترجمة م. حمود - المعهد الجامعي للبحث العلمـــي - جامعة محمد الخامس - الرباط -

28- مارمول كاربخال:" **إفريقيا** " - تعريـــب حجي وآخرون - مكتبة المعارف ـــ الرباط 1984.

29- مجدوب، محمد:" **مجال الشاوية في التـلريخ القديم**" - في: **الشاوية التاريخ والمجال** - منشـــورات

لجنة الشاوية – البيضاء 1997.

30- الناصري، أبو العباس أحمد:" **الاستقصا لدول المغرب الأقصى** " – الدار البيضاء – 1955.

31- نافع رشيدة:" **الخصائص الطبيعية لمنطقة المحمدية** " – ضمن: **مدينة المحمدية ومحيطها البيئي** – تنسيق م. الأكحل وم. أزهار – منشورات كلية الآداب المحمدية – 1997.

32- النويري:" **نهاية الأرب في فنون الأدب** " – تحقيق مصطفى أبو ضيف – البيضاء 1984.

33- الوزان، الحسن:"**وصف إفريقيا**" – ترجمة م. حجي وم. الأخضر– ط 2– دار الغرب الإسلامي– بيروت 1980.

34- الوفراني، محمد الصغير:" **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** – دار الطالب – الرباط– د.ت.

35- Adam, André, «Fédala», in *Encyclopédie de l'Islam*, Nouvelle édition, Paris 1977.

36- Antoine M., « Répertoire préhistorique Chaouïa. Région littorale orientale », *Bull. Soc. Préhist. Du Maroc*, 14, 1930.

37- Beaudet G., *Le plateau central marocain et ses bordures. Etude géomorphologique*, Rabat 1969.

38- Bellon P., *Le Port de Fédala, ses possibilités dans le cadre de l'économie portuaire de la région casablancaise*, Ecole nationale d'administration, 1951.

39- Brethes D., *Contribution à l'histoire du*

Maroc par les recherches numismatiques", Casablanca, 1939.

40- Brignon J. et Co., *Histoire du Maroc*, Hatier, Casablanca, 1967.

41- Cintas P., *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954.

42- De Castries H., *Les Sources inédites de L'histoire du Maroc*, 1e et 2e série.

43- De Menthon J., *Fédala: Banlieue industrielle ou banlieue balnéaire? Situation économique et financière*,Ecole nationale d'administration, Janvier, 1949.

44- Desanges J., *Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique (VIe siècle av. J.-C. - IV siècle ap. J.-C.)*, Rome, 1978.

45- Euzennat M., *Le limes de Tingitane. La frontière méridionale*, CNRS, Paris, 1989.

46- Höst George, *Histoire de l'Empereur du Maroc*, Trad. Damgaard et Gailhanou, éd. La porte, Rabat, 1998.

47- Jodin A., " L'élephant dans le Maroc antique ", dans *Actes de 92 Congrès national des Sociétés savantes*, Strasbourg et Colmar, 1967, Paris, 1970.

48- Jodin A, Mogador, *Comptoir phénicien du Maroc atlantique*, ETAM, 2, 1966.

49- Julien Ch. A., *Histoire de l'Afrique du*

Nord , Paris, 1961.

50- Lampière, *Voyage dans l'Empire du Royaume de Fez* , Paris, 1801.

51- Laoust E., *Contribution à l'étude de la toponymie du haut Atlas*, extrait de *REI* , 1939, Paris, 1942.

52- Luquet A., « Prospection punique de la côte », *Hespéris*, T 43, 1956.

53- *Le Maroc maritime. Guide pratique du secteur maritime*, Ministère des pêches maritimes et de la marine marchande, Mohammedia, 1999.

54- Mana A., *Les Ragraga: la fiancée de l'eau et les gens de la caverne*, Casablanca, 1988.

55- Michaux-Bellaire, *Casa et les Chaouia. Villes et tribus du Maroc*, T II, éd. Leroux, Paris, 1915.

56- Montagne R., « Les marins indigènes de la zone française », in *Hespéris*, vol 3, 1923.

57- Pellon J. et Bory P., *Fédala, un jardin sur la mer*, éd. Inter presse, Casablanca, 1933.

58- Picard C., *L'océan atlantique musulman de la conquête arabe à l'époque Almohade: Mise en valeur des côtes d'al Andalus et du Maghreb occidental*, éd. UNESCO - Maisonneuve & Larose, Paris, 1997.

59- Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, t. V, éd. J. Desanges, Les Belles-Lettres, Paris, 1980.

60- Ptolémée, *Géographie*, éd. Müller, I.2, Paris, 1901.

61- Rebuffat R., « Vestiges antiques sur la côte occidentale de l'Afrique au sud de Rabat, *Antiquités Africaines*, 8, 1974.

62- Ricard R., « La côte Atlantique du Maroc au début du 16e siècle d'après des instructions nautiques portugaises », in *Hespéris*, Vol 7, 1927.

63- Schmitt P., *Le Maroc d'après la Géographie de C. Ptolémée*, Thèse de 3ème cycle - Tours - Centre A. Piganiol - 1973 (roneot).

64- Siraj A., *L'image de la Tingitane: Historiographie arabe médiévale et antiquités nord-africaines*, EFR, Rome, 1995.

65- Souville G., *Atlas préhistorique du Maroc: Le Maroc atlantique*, Paris, 1973.

66- Strabon, *The Géography of Strabo* , with an English translation by H.L. Jones, London-Cambrige, 1949.

67- Timoule A., *Le Maroc à travers les chroniques maritimes*, éd. Sonir, Casablanca, 1990.

أبحاث الإجازة في تاريخ المحمدية

– أمونان عبد الرحيم:" تاريخ المحمدية من القـــرن 17 إلى القرن 20م من خلال مؤلفات مكتوبة بالفرنسـية

" – إشراف: ذ. حسن أميلي – كلية الآداب المحمدية 1995–96.

– أيت بلقاسم لطيفة و أمديز فاطمة: " المحمدية من العصور الوسطى إلى العصر الحديث " – إشراف: ذ. محمد حناوي – كلية الآداب المحمدية 1987–88.

– بن صغير فاطمة وجدير خديجة:"المحمدية ونواحيها، دراسة تاريخية وأثرية "– إشراف: ذ. أحمد سراج– كلية الآداب المحمدية 1997–98.

– الشباني فاطمة والأعرج عائشة:" تاريخ المحمدية وناحيتها في القرنين 16 و17 م من خلال الوثائق الفرنسية " إشراف: ذ. حسن أميلي – كلية الآداب المحمدية 1994–95.

– كندافي كبيرة وفيطوش نجاح:" تاريخ المحمدية وناحيتها من القرن 16 إلى 18م من خلال المصادر المحلية " – إشراف: ذ. حسن أميلي – كلية الآداب المحمدية 1994–95.

محمد نهض ومصطفى السرور: " تاريخ المحمدية ونواحيها في القرنين 16 و17م من خلال الوثائق الإنجليزية والهولندية"– إشراف: ذ.حسن أميلي–كلية الآداب المحمدية 1994–95.

فهرس

الموضوع:	الصفحة
تقديم	6
توطئة	8
الفصل الأول:	
المميزات الطبيعية والخصوصيات المحلية	10
1- الموقع الجغرافي والمميزات الطبيعية:	12
2- خصوصيات المنطقة	14
3- أهميتها الإنتاجية	16
4. الأهمية التاريخية	17
5- مشكل التسمية	18
6- أهالي فضالة	20
الفصل الثاني	
فضالة : الأصول وبداية التاريخ	23
1- أصول تعود لما قبل التاريخ	25
2- الحضور القرطاجي بالمنطقة	26
3- فضالة خلال العهد الروماني	29
الفصل الثالث	
فضالة خلال العصور الوسطى	36
1- فضالة قاعدة تجارية بحرية	40
2- فضالة حاضرة برغواطة	43
3- الإقرار الموحدي للقبائل العربية	46
4- الاستقرار الزناتي	47
5- بداية الضغوط الأوربية	48

6- فضالة الصوفية 49
الفصل الرابع
فضالة خلال العصور الحديثة 52
1- فضالة خلال العهد الوطاسي 54
2- فضالة في العهد السعدي 55
3- فضالة خلال الحرب الأهلية في القرن 17م 57
4- فضالة في العهد الدلائي 58
5- فضالة خزان للحبوب 59
6- فضالة والجهاد البحري 61
7- الاهتمام الأوربي بفضالة 62
الفصل الخامس
بناء مدينة فضالة 66
1-قصبة فضالة 68
2- تعمير القصبة 69
3- تغيير في التركيبة البشرية 70
4- دورها التجاري 70
5- تراجع أهمية فضالة 72
6- حفاظها على الدور التسويقي 74
7- بوادر التدخل الأوربي 74
8- احتلال منطقة فضالة 76
الفصل السادس
فضالة في مركز الاهتمام الفرنسي 77
1- الدور الكبير لشركة هرسنت 80
2- تطور ميناء فضالة 80
3- منشآته الرئيسية 83

4- التطور الاقتصادي لفضالة 84

الفصل السابع

مجتمع فضالة خلال عهد الحماية 92

1- شروط اجتماعية متردية 94

2- تناقضات اجتماعية 96

3-التعليم العصري 97

4-فضالة المقاومة 98

بيبليوغرافيا 101

ملحقات 106

فهرس 111

طبع هذا الكتاب على نفقة المجلس البلدي
لمدينة المحمدية

الطبع: مطبعة الرسالة
11 شارع علال بنعبدالله ـ الرباط 10000
الهاتف : 72.60.50/ 72.27.84
الايداع القانوني: 1999 ـ 1546
رد مك :0 - 0444 - 0 - 9954
يناير 2000
حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين

فضالة أو عودة الذاكرة

لم يحظ تاريخ فضالة ـ المحمدية باهتمام البحث التاريخي، تحت وطأة ندرة المصادر وصعوبة استنطاق القليل المتوافر منها، مما يستحيل معه ـ من خلال المعطيات التي يقدمها ـ رسم صورة واضحة لمعالم التطور التاريخي الذي شهدته المنطقة.

إن مجال فضالة قد يكون من أكثر المجالات التي تعرضت للتحول والتغيير، إلى درجة يمكن القول معها إنها فقدت ذاكرتها في خضم ذلك. ورغم أن هذا المجال يتسم بخصائص تسمح له بتكوين شخصية تاريخية متراكمة ومتواترة، فإنه في واقع الأمر، وبفعل هذه الخصائص ذاتها، أضحى يعاني اليوم من تلاشي هويته؛

هذا الكتاب هو محاولة لاسترجاع ذاكرة أضحت شبه مفقودة. وهو أيضا أول محطة على مسيرة يعتزم مركز الدراسات والأبحاث التاريخية والأثرية إنجازها عبر محطات أخرى قادمة!..